

تاريخ إيران قبل الإسلام

تعريب وتقديم وتعليق

أ. د. محمد علاء الدين منصور

أستاذ اللغة الفارسية - بكلية الآداب - جامعة القاهرة

٢٠٠٦- ٢٠٠٧

مقدمة المعرب

من الكتب المعتبرة في تاريخ إيران كتاب الدكتور عبد الله الرازي (متوفى ١٩٥٥م) الذي يحمل عنوان (تاريخ إيران الكامل) ويؤرخ الأحداث التي وقعت بهذه البلاد من تأسيس الدولة المادية حتى نهاية الدولة القاجارية كما يقدم كتابه بفصلٍ يدور حول تاريخ إيران الأسطوري بناءاً عما ورد بالشاهنامات والروايات الشفوية الوطنية. ويتميز هذا الكتاب عن غيره مما ألف في تاريخ إيران قبل الإسلام وبعده بإيجازه وبساطة عرضه وموضوعيته وحياده العلمي وبعده عن الدخول في عرض مواضع الاختلاف في وجهات نظر المؤرخين الشرقيين والغربيين وعدم الانشغال بمناقشتها بما يجعله أنسب إلي تناول الطالب المتخصص والمثقف والمعنِّي بهذه الدراسة علي السواء. وقد آثرت أن أقدم ترجمة للأجزاء المتعلقة بتاريخ إيران قبل الإسلام أي من بداية هذا الكتاب حتى نهاية الدولة الساسانية وسقوطها بيد المسلمين في عهد عمر بن الخطاب أي من بداية الحياة علي هضبة إيران حتى عام (٢١هـ/ ٦٥٢م) ويقع في نحو (١٣٥) صفحة من جملة عدد صفحات الكتاب البالغة أكثر من (٥٨٠) صفحة.

وبهذا الكتاب الذي نقدمه الآن مُنضَمّاً إلي كتاب تاريخ إيران بعد الإسلام الذي نقلته عن الفارسية من كتاب عباس إقبال (تاريخ إيران المفصّل) – ويؤرخ أحداث إيران منذ بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية أي من (٨٢٠ حتى ١٩٢٥م) – والذي نشرته دار الثقافة للنشر والتوزيع عام (١٩٩٠) يكون بين يدي الطالب والقارئ تاريخ إيران من البداية حتى نهاية الربع الأول للقرن العشرين أو بداية حكم الأسرة البلهوية لإيران.

مؤلف هذا الكتاب القيم هو عبد الله بن الحاج ميرزا إبراهيم الهمداني

الأصل والطهراني المسكن وأحد أتباع الطريقة الصوفية المنتسبة إلـي الـشيخ ميرزا عبد الوهاب الشوشتري وهو من العارفين المشهورين في عهـد ناصـر الدين شاه القاجارى. وقد عمل المؤلف محامياً وموظفاً بالإدارة العامة للإحصاء لكنه كان يميل بشدة إلي التأليف والكتابة الصحفية فكان يكتـب فـي الـصحف الإيرانية التي كانت تصدر في مصر وطهران مثل (سـودمند) و (رسـتاخيز) و(روزنامه آزادي شرق) كما أصدر بضعة كتب ورسائل منها (تـاريخ كامـل إيران) الذي ننقل منه ما يخص تاريخ إيران قبل الإسلام و (تـاريخ مختـصر إيران) و (آيين زردشت) أو مذهب زردشت وقد طبع بمصر و (نارنج مفقـود) أو النارنج الضائع وهو كتاب يدور حول موضوعات أخلاقية واجتماعية وكتاب (وجدان) أي الضمير وهو مقتبس عن تأليف لفيكتور هوجو ولا يـزال تحـت الطبع بعض مؤلفات له هي علـم العـروض والمنطـق وداسـتان تـاريخي خوارزمشاهيان أي القصص التاريخية لحكام خوارزم أو الخـوارزميين. وقـد تميز المؤلف بشخصية مثقفة وصوفية تميل إلي تحليـل المـذاهب الـسياسية والاجتماعية والتاريخية والفلسفية والمذهبية وكان يؤثر من الـصوفية الفـرس الرومي وحافظ وسعدي كما كان مريداً للشيخ ملا سلطان علي الجنابادي والشيخ صفي علي شاه. وأتقن المؤلف اللغتـين العربيـة والفرنـسية ودرس آدابهمـا واستظهر شعر ابن الفارض وكان يتحدث أيضاً الإنجليزية ويكتب بها ويـنظم الشعر الفارسي العروضي. وقد كان إنتاجه وشخصه ثمرة لتربيته وتعليمه، فقد ولد عام (١٨٩٦م) بطهران وتعلم بمدرسة فرنسية بها كما رباه والـده تربيـة صوفية ودرّس له بدايات في اللغة العربية وعمل موظفاً بوزارة المالية ومأموراً بجمارك محافظة سيستان. ثم سافر إلي الهند فتعلم في (كَلَكُتّا) الإنجليزية ثم اتجه إلي القاهرة فدرس ودرّس بها إذ درس بمدارس القاهرة اللغـة والأدب العربـي والفرنسي والحقوق والفلسفة ثم اتجه من مصر إلي فرنسا ونجح في نيل درجة

ليسانس الحقوق منها وعاد إلي مصر وأصدر بها مجلة (سودمند) باللغة الفارسية واتصل بمدير صحيفة (آدميت) التي كانت تصدر بشيراز وهو محمــد حــسين آدميت وتبادلا المراسلات الإخبارية والصحفية لجريدتيهما (آدميت) بـــإيران و (سودمند) بمصر. واستمرت المراسلات بينهما حتى بعد أن تغير اســم جريـــدة (سودمند) إلي (رستاخيز). ثم التقي هذان الصحفيان بطهران عام ١٩٢٥ واتفقا علي وجوب خدمة الوطن عن طريق إنشاء حزب أو جماعة مـــن الإيـــرانيين المخلصين لبلادهم فأسس المؤلف حزب (قيام) وانضم إليه آدميت عـــام ١٩٣٧ واستمر هذا الحزب قائماً حتى (١٩٤٥) ثم تبدل اسمه بعد إنشائه إلـــي حـــزب أحرار إيران وانضم إليه مشاهير مثل كمال سبزواري وأبو القاســم الموســوي وشمس زنجانى. ولما انحل الحزب لم يبق للمؤلف غير صحيفته حرية الـــشرق أو آزادي شرق لبث أفكاره الوطنية والإصلاحية. وظل المؤلف رغــم عزلتـــه وسلوكه مسلك الزهاد حتى وفاته لا ينأى عن مساعدة المحتاج وإعانة الملهوف حتى ودع الحياة الفانية في ليلة الحادي والعشرين مـــن شـــهر رمـــضان عـــام (١٣٧٤ هـــ.ق) الموافق الثالث والعـــشرين مـــن شـــهر أردي بهـــشت عـــام (١٣٣٤ هـــ. شمس) الموافق عام (١٩٥٥) من الميلاد.

مقدمـــــــة المؤلف

الأساطير الشعبية

لإيران فضلاً عن التاريخ الحقيقي لإيران قبل الإسلام الذي سيلي شـــرحه نوع آخر من التاريخ الأسطوري نشأ القسم الأعظم منه من بداية العهود الموغلة في القدم وربما يكون نفس الاعتقادات التي تدور حول الآلهة لكنها بـــدت فـــي صورة سير الملوك والأبطال وأعمالهم. وتـــسمي هـــذه الأحـــداث والروايـــات بالأساطير الشعبية الإيرانية والتي نظمها شعراً الفردوسي شاعر طوس الكبيـــر وخلّد عنه هذا الشعر في شاهنامته وهي أكبر عمل حماسي ملحمــــي. وعـــلاوة علي الشاهنامة التي اعتمد فيها الفردوسي علي كتاب (خداي نامه)[1]. وروايات الدهاقين – ملاك الأراضي الزراعية – والعلماء الزردشتيين ضمّن الأبستاق – كتّاب زردشت المقدس – والأدب البهلوي بدورهما موضوعات تـــشرح هـــذه السير، ويشاهد في بعض المواضع روايات مـــذكورة بهـــذه الكتـــب تتنـــاقض والمصادر التي أخذ عنها الفردوسي. ويخرج عن إطار هذا الكتاب شرح هـــذه الروايات والتحقيق فيها، ولكن لكيلا نغض الطرف تماماً عن مثل هذه الموضوع أي الأساطير الشعبية فلا ضرر من ذكر عدة سطور فيها. ورد ذكر أ ربع أسر من ملوك إيران القدامى في الشاهنامة هي أسرة البيـــشداديين[2] والكيـــانيين[3]. والأشكانيين والساسانيين. والأحداث المتعلقة بالأسرة الأولـــي والثانيـــة وهـــي

---

(١) من كتب الأدب البهلوي التي ضمت سير آل ساسان وترجمها ابن المقفع ويعني (سير الملوك). المعرب.

(٢) بمعني السباقين في العدل والعطاء. (المعرب).

(٣) تعني الملوك (كيان جمع كي أي الملك). (المعرب).

روايات شفوية كلها تقريباً أساطير وربما يحتمل أن يكون بعضها تخفي حقائق تاريخية.

أما تاريخ الأشكانيين (البارتيين) الوارد بالشاهنامة فهو تاريخ حقيقي إلي حد ما ولكن لم يذكر في الشاهنامة من حكامهم غير بضعة ملوك وأغفلت أحداثاً مهمة حدثت في عهدهم. أما القسم الرابع المتعلق بالساسانيين فهو يطابق التاريخ بمعني أن أسماء الملوك صحيحة وذكرت بالتتابع التاريخي الصحيح وإن كانت سيرة بعض ملوكهم خاصة الأول منهم يمتزج بالأسطورة.

البيشداديون:-

أول ملك بيشدادي هو (جيومرث) الذي سكن الجبال وكان وأتباعه يتسترون بجلود النمور. استأنس هذا الملك الحيوانات وقاتل الشياطين وقتل في معاركه معهم ابنه (سيامك). رحل جيومرث بعد حكم ثلاثين عاماً وخلفه حفيده (هوشنج).

ورد في الروايات الفارسية الدينية أنه ظهر في بداية الخليقة موجودان أولهما جيومرث وهو آدم الأول والثاني الثور. وفي الستة آلاف عام الأولي من الخليقة عاش هذان المخلوقان في أمن ودعه إلي أن امتزجت قوتا الخير والشر فظهرت الحياة الحالية. عاش جيومرث في هذه الحياة الدنيا (الحالية) ثلاثين سنة أخري ثم مات ومات الثور أيضاً في نفس الأوان. صارت روح هذا الثور الملاك الموكل بالحيوانات الراعية ونبتت من جسده أنواع النبات. ومن جسد جيومرث ظهر أيضاً أول زوج للإنسان وهما ماشيا وماشيانا[١]. استولت قوي الشر علي هذين الزوجين فشرعا في الكذب والفحش. وأنزلت الموجودات

---

(١) في رأي أنهما آدم وحواء المذكوران في الكتب السماوية. (المعرب).

السماوية (الملائكة) لهما النار وعلمتهما استعمالها فصنعا فأساً من الحديد وأسقطا بها أشجاراً استخدماها في بناء كوخ لهما.

تولّد من ماشيا وماشيانا سبعة أزواج منهم سيامك وسيامكي وظهر عنهما فرواك وفرواكين. وتولد عن تزاوج هذين خمسة عشر زوجاً آخرون وهم أجداد الخمسة عشر جنساً الآدميين. وحسب هذه الروايات فأول ملك بيشدادي هو (هوشيانغا) "هوشنگك" الذي حكم الشياطين. وبناء عن الشاهنامة فهوشنج هذا هو حفيد جيومرث حكم أربعين عاماً واكتشف النار وأقام احتفال (سده) أو (الذق) عند العرب أي عيد النار في ذكري هذا الكشف. ثم خلفه ابنه طهمورث المعروف بمقيد الشياطين (ديوبند). هدد الشياطين بالقتل إذا لم يعلموه كتابة ستين لغة. يقال إن المدنية تقدمت في عهده. علم الناس فن غزل الصوف وتربية الحيوانات الأليفة وتغذيتها بالتبن والحبوب وتربية الدجاج والديكة. ووضع وزيره المتدين (شدسب) صلاة الصبح والعصر. ويروي البندهشن – من الكتب الزردشتية – أن الناس في عهده انتشروا في أطراف الأرض وراج مذهب عبادة النار وينسب إليه بناء قصر مرو وقلعة أصفهان.

حكم طهمورث ثلاثين عاماً وخلفه أكثر ملوك إيران الأسطوريين شهرة (جمشيد). يعد البعض خطأً أن جمشيد هو النبي سليمان لكن علماء مثل ابن المقفع أثبت خطأ هذا الظن لأن بين الملكين ثلاثة آلاف عام فاصلة. اسم هذا الملك (جم) و (شيد) بمعني (المنير) صفة أضيفت إلي ذاك الاسم. ويري البعض أن جمشيد هو نفسه (ياما) المشار إليه في الأساطير الهندية[١] و (ياما) أو (ييما) المذكور في الأبستاق واحد. وفي هذا الكتاب وردان (ييما) بن (في فانهاوا) وأتي

---

(١) في الفيدا كتاب الهندوس المقدس أن جم أو (ياما) أو (يم) ابن الشمس وأول بشري غلبه الموت وكان يحكم علي جهنم ويعني اسمه (الملك المنير). (المعرب).

في الروايات الفارسية أنه لم يكن أي مرض في عهد جمشيد ولم يكن موت ولا جوع ولا عطش فازداد عدد الناس بحيث لزمهم أن يمدوا مساكنهم علي الأرض بقدر ثلاثة أضعافها. كما يروون أن جمشيد كان دائم اللقاء بـأهودا مـزدا (الله) لكنه رفض النبوة التي عرضها عليه لأسباب شتى.

ويعد جمشيد أحد عظام الملوك إذ حكم سبعمائة عام ولم يكن يحكم علـي أولاد آدم وحسب بل علي الشياطين والجن والطير. علم الناس الإفادة بالحيوان واستعمال الأسلحة وفن الغزل ووضع نظام الطبقات الثلاث: رجـال الحـرب ورجال الدين والزراع وأرباب الحرف. أجبر الشياطين علي بناء العمارات له. وروّج استعمال المعادن والأحجار الكريمة والعطور والأدوية. صـنع الـسفن وكان يطير بعرشه في الهواء حيثما يحب ووضع عيد أول العـام (النيـروز)، وينسب إليه تعميرات (فارس) التي هي من آثار الهخامنشيين.

وفيما يتصل بنهاية حياة جمشيد هناك روايتان الأولي ذكرهـا الفنديـداد والثانية وردت باليشت وكلاهما من شروح الأبستاق. وبناء علي الرواية الأولي فإن أهورامز قد نبَّه جمشيد إلي أن شتاء بالغ البرودة سوف يحـدث وسـيغطي بالثلوج كافة الخمائل والمراعي التي يرعي فيها الحيوان. وعليـه وكمـا أمـر أهورامزد أسس لنفسه حديقة وكدس فيها أنواع النبـات والحيـوان والإنـسان والأغذية والنار. وطبقاً لرواية الشرح الأبستاقي (مينوخرد) فسوف يظل الملـك بهذه الحديقة إلي أن يعم المطر العالم فيخربه فيخرج من مكمنه ويعيـد تعميـر الأرض. لكن بحسب رواية اليشت التي نقلها الفردوسي فإن جمشيد قـد أخذتـه العزة والغرور في آخر أمره وادعي الألوهية ودعا الناس إلي عبادته ولهذا قـد

فارقه المجد الإلهي[1] وسقط ملكه في يد (الضحاك).

والضحاك هو نفس (أجهي دهاك) أو الثعبان الذي ورد ذكره بالأبستاق، وما يروي من أن ثعبانين نبتا من كتفيه إنما هو إشارة إلي التنين الآري – الثعبان الأسطوري ذي الرؤوس الثلاثة – ولهذا قيل أن الضحاك كان له ثلاثة رؤوس وثلاثة أفواه وستة عيون. وأمه من أبناء إله الشر (أهريمن)، وحكم إيران ألف عام ويعرف الضحاك باسم (بيوراسب) أي صاحب العشرة آلاف جواد.

وحسبما يروي الفردوسي كان الضحاك عربياً تحري الظلم والجور فصار ألعوبة بيد أهريمن وحرض الناس علي ترك التقوت بالنبات وأحَلَّ أكل اللحوم. وكان يطعم الثعبانين اللذين نبتا في كتفه علي إثر قبلة من أهريمن فيه بمخ رجل كل يوم. وجاء في كتاب الأسدي الطوسي (جرشاسب نامه) أن جمشيد تواري في الفلوات والصحاري ووعد الضحاك من يأتي به أسيراً بالهدية والإنعام فأجبر جمشيد علي الاختفاء عند ملك زابل ثم توجه من عنده إلي الصين وعلي حدودها قبض عليه قواد الضحاك وقتلوه.

وفي النهاية بعد ألف عام من الحكم وقتل عدد كبير من الناس لإطعام الثعبانين أراد الضحاك أسر آخر ولد لحداد إيراني اسمه (كافه) كان يعيش في أصفهان لكي يجعل من مخه غذاء لثعبانيه. فقام كافه وكان أولاده الآخرون قد قتلهم الضحاك لنفس الغرض ثائراً من دكانه ورفع كير حدادته علي رأس رمح

---

(١) المجد الإلهي أو (فرّإيزدي) هذه النظرية الأسطورية توارثها الإيرانيون فسموا ملوكهم بها وكانوا أنصاف آلهة، ولما انقطع الملك الساساني أدعي الإيرانيون أنها انتقلت إلي الأئمة الأثني عشر وسوف تظل حتى الساعة حين يظهر المهدي الذي يميت الناس ويحييهم ويحاسبهم الحساب الأخير كما هي صفة مخلّص الزردشتيين. (المعرب).

وأحدث ثورة علي الضحاك. يقال أن أصل العلم الكافياني الذي كان راية إيران القومية حتى الفتح العربي ووقع غنيمة في يد سعد بن أبي وقاص في معركة القادسية هو نفس الكير والرمح لكافة هذا الحداد. والخلاصة أن الضحاك في أعقاب الثورة التي سببها كافه قد تواري وصار فريدون ملكاً.

وفريدون هو ابن آبتين ومن أحفاد طمورث، أوقع بالضحاك في أسره علي كثبٍ من بابل وحبسه في قلعة (دماوند). وأناب فريدون كاوه في قيادة جزء من جيشه لقاء ما بذل من جهود في ثورته علي الضحاك. وأسس أعقاب كافة في أصفهان أسرة حاكمة مهمة من الأسر الحاكمة بالبلاد. كان لفريدون ثلاثة أبناء سلم وتور وإيرج. أعطي إيران إلي إيرج أصغر أبنائه وسلَّم سلم بلاد الغرب وتور بلاد التركستان والصين. لم يرض سلم وتور بنصيبهما وحسدا أخاهما الأصغر وفي النهاية قتلاه، فلما رأي فريدون جثة إيرج تألم كثيرا وأقسم أن ينتقم من سلم وتور. ولدت إحدي نساء إيرج بنتاً فلما بلغت البنت سن الزواج تزوجت من (پشنك) وهو أحد الأمراء وولدت له منوتشهر (منوس تشيترا). وفي رواية أخري أن منوتشهر هو ابن إيرج من زوجته (ماه آفريد) ولد بعد مقتله، وأحسن فريدون تربية منوتشهر وجمع حوله الأبطال. اجتهد سلم وتور في تسليم أبيهما لمنوتشهر لهما فلما لم ينصع لهما هاجما إيران إلا أن تور[1] قتل في المعركة وآثر سلم الفرار وفي النهاية وقع أسيراً وقتل، وبعد هذه الأحداث أفرد فريدون الملك لمنوتشهر ثم مات بعد ذلك بقليل.

يقال إن منوتشهر حفر مجري نهري الفرات والسند وأوصل دجلة بالفرات

---

(١) تور أو طور من اسمه (توران) بلاد الأتراك والصين أو سكن الجنس التوراني أو الطوراني و(توران) من (تور)+ (ان) التي تفيد المكان، وفي رأي أن إيران أيضاً أصلها (إيرج + ان) أي بلاد إيرج. (المعرب)

عن طريق أنهار فرعية عديدة. كما زرع الجنان والبساتين. ومن هذا التاريخ تبدأ الأساطير القومية الإيرانية في التزين بسلسلة من وقائع الأبطال المشاهير وملاحمهم، وشرح ذلك أن جمشيد حين كان هارباً من الضحاك توجه إلي ملك بابل وتزوج ابنته ومن أخلاف جمشيد جرشاسب والد نريمان. وكان لنريمان ولد اسمه سام هو أبو زال وجد رستم البطل المشهور في الأساطير الإيرانية الوطنية. ولما ولد زال كان مبيض الشعر فطرحه أبوه سام في جبل ألبرز ظناً منه أنه من مخلوقات إله الشر (أهريمن). فربته السيمرغ (العنقاء وهو طائر خرافي) فلما طوت شهرته الآفاق وبلغت مسامع سام وتذكر أنه ترك ابنه في ذاك الجبل أراد رؤيته فأتت العنقاء بزال إلي سام وأعطته ريشة من جناحها وقالت له بأن يضعها علي النار إذا ألم به خطر فتحضر علي الفور لمساعدته، ومال منوتشهر إلي لقاء هذا الشاب العجيب فلما رآه أعجب به كثيراً وسلمه حكم (نيمروز).

ولما توجه زال إلي كابل قابله حاكمها بكل محبة. وفي إقامته بها هام حباً في ابنة أمير كابل (رودابه) لكن الزواج كان عسيراً لسببين أولهما اختلاف الدين بين زال ورودابة وثانيهما أن أيركابل كان من ذرية الضحاك وكان هذا لا يرضي منوتشهر ويخشاه. وفي النهاية تنبأ أحد المنجمين أن الزواج منها سيكون في مصلحة إيران لأنه سوف ينتج عنه ولد سوف يحافظ علي بلاد إيران. وولد رستم من هذه الزيجة وهو أكبر الأبطال الأسطوريين لإيران ويضرب المثل بقوته ومتانة ساعديه. أجبر منوتشهر علي الإقامة بطبرستان في نهاية سني حكمه علي إثر الحروب التي دارت رحاها بينه وبين أفراسياب الطوراني وتقرر بعد الصلح بينهما أن يكون اتساع حكمه بقدر المساحة التي يطويها سهم يطلقه. يروي أن السهم الذي انطلق من قوس منوتشهر في دماوند سقط في مروبل في

ساحل نهر جيحون.

تملك من بعده نوذر أربع سنوات برواية الفردوسـي أو ثمانيـة شـهور برواية غيره وانشغل الملك الجديد باللذائذ والمتع فأنتج مسلكه ثـورات داخليـة وفي النهاية جعل أفراسياب من إيران مجال إغاراته وهجماته وأوقع نوذر فـي أسره وقتله. بعد نوذر خلفه حفيد منوتشهر المسمي (زاب) أو (زاف) وهو ولـد طهماسب وصالح التورانيين. ثم حكم بعد (زاب) (جرشاسب) وهو آخـر ملـك بيشدادى.

الكـيانيون:-

أول ملك لهذه الأسرة هو كيقباد من ذرية منوتشهر والذي تبـوأ العـرش بجهود رستم ومدة حكمه خمس عشرة سنة وفي أيامه أنزل رستم بـالتورانيين هزيمة ماحقة. خلفه كيكاوس وفي حرب له مع عفاريت مازنـدران وقـع هـو وسائر جيشه في أسرهم. فعقد رستم همته وشمر عن ساعد بطولتـه لخلاصـه وتحمل مشقات بالغة وحدثت له سبع وقائع عجيبة وخارقـة وهـي المـشهورة بالخوانات السبعة (هفت خوان) من قبيـل قتالـه للأسـد والثعبـان والـساحر والعفاريت وفي الواقعة السابعة هزم رستم العفريت الأبيض (ديوسفيد) وخلص كيكاوس. ومن أحداث عهد كيكاوس الأخري حروبه في هامـاوران (الـيمن)، فهزم حاكمها فأرسل المغلوب ابنته (سودابه) إلي ملك إيران ودعاه للإقامة عنده. وفي عودته أسره طائفة من البربر هو وجميع رفاقه وبهمة رستم أيضاً خلـص من أسرهم، وبعد هذه الحروب انقاد له المؤمنون والكافرون والإنس والجن (من الشياطين والعفاريت). حث كاوس (كيكاوس) الجن علي تشييد قلاع في البـرز

لكن هؤلاء الشياطين المجبرين علي العمل سخرة كانوا مستائين من كـــاوس[1] فأطاعوه بنية إهلاكه. وتمثل أحدهم بصورة عبد له وقال له إن حكمه لا يجــب أن يقتصر علي الأرض بل يلزم أن يحكم أيضاً السماء. فـأمر الملــك بتربيــة عقبان صغيرة، وبعد ذلك اختار منها أربعة وعقدها بعرشه وطــار بهــا إلـــي السماء. فلما تعبت العقبان هبطت به في آمل. وسقط الملك في غابات مازندران وأصابه القنوط من الخروج منها وفي النهاية عثر عليه كبار مملكته وأعادوه إلي عاصمته.

اتهمت سودابة زوجة كاوس ابنه من زوجة له أخري واســمه ســيافش (سياوحش) أنه يراودها عن نفسها فمر سيافش لإثبات براءته بين النار وكما لم تصبه النار بضرر علم الجميع أن سودابه كاذبة قد رمته ظلماً. وفي هذه الأثناء أتي أفراسياب لقتال كاوس فطلب سيافخش بعــد إذن والـــده ومــساعدة رســتم مصالحته وقبل الصلح رسميا لكن كاوس لم يوافق علي شروط الــصلح وكــان سيافش لا يود أن يعدل عن صلح عقده ويخونه فلم يجد وسيلة إلا أن يسلم نفسه إلي عدوه أفراسياب الذي زوجه من ابنته فرنجيس فولدت لـــه غلامـــاً اســـمه كيخسرو وقبل ولادته قتل سيافش بتأليب من جرسيوز.

بعد سبع سنوات من البحث والتقصي قابل جيف بن جــودرز كيخــسرو وعاد به إلي إيران. وتمتلئ سيرة كيخسرو بحروبه مع أفراسياب وكان القتــال بين إيران وتوران سجالاً حتى غلب رستم بطل إيران (أشكبوس) بطل تــوران وفي النهاية وقع أفراسياب أسيراً قرب بحيرة تشيتشت (بحيرة رضائية) وقتــل. وفي كافة هذه الحروب أظهر رستم كاملة شجاعته وتضحيته وبطولته.

---

(١) (كي) تعني كما سبقت الإشارة (الملك) و (كاوس) اسم هذا الملك، والكلمة تعنـــي الملــك كاوس التي عربت (قابوس). (المعرب).

خلف كيخسرو والده كيكاوس ومضت فترة حكمه بأمن وسكون لأنه عدو إيران القديم أفراسياب كان قد هلك ونجح الملك في قتل ثعبان هائل كان يكمن بين فارس وأصفهان. ولم يلد كيخسرو غير أربع بنات وكان ابنه (أخرورا) قضي نحبه في حياة أبيه لذلك عين (لهراسب) أحد أعقاب كيقباد في خلافته. ثم رام أن يطير إلي السماء ويرتفع إلي عنانها وفي نهاية أمره اختفي بالقرب من بئر ولم يعثر أتباعه علي أثر له مع كثرة بحثهم عنه. جعل لهراسب بلخ عاصمة له. ومن هذا التاريخ نشهد تغييرات في مذهب الإيرانيين فيسمون التورانيين بعبدة الأوثان (ربما كانوا علي المذهب البوذى) وكان ملكهم يسمي بيغو وهو اسم تركي.

وتقترب الأساطير إلي التاريخ الواقعى. كان لهراسب له ولدان جشتاسب وزرير. وحدث تكدر بين جشتاسب وأبيه وأراد الفرار إلي ملك الهند لكن زرير منعه من هذه الخطوة قائلاً له ليس من اللائق أن يلتجئ مؤمن حقيقي بعابد أوثان. لهذا توجه جشتاسب إلي بلاد الغرب وعزم علي العمل في أحطّ الأعمال ولو كان الخدمة أو رعي الإبل لكسب قوته. لكن منظره كان من النجابة والجلال وتظهر أمارات العظمة من سيماه إلي الحد الذي جعل الناس لا يقبلون أن يستخدموه في مثل هذه الأعمال الوضيعة، وفي النهاية صار صبياً لأحد الحدادين وكان من القوة بحيث كان يحطم بضربته الحديد والسندان. عرض عليه أحد الدهاقنة وملاك الأراضي أن يدخل زمرة خطاب ابنة إمبراطور الروم ويستعد لأن يكون من بين الرجال المتقدمين إلي الأميرة فعمل بنصحه جشتاسب وأدركت الأميرة أنه هو نفس الرجل الذي رأته في أحلامها من قبل فقبلت الزواج منه، فطردهما الإمبراطور سوياً من بلاده. وأوجبت كفاية جشتاسب وأعماله الملفتة للاهتمام علي أبيه إلي أن يرضي عنه ويطلبه إليه. وترك

لهراسب أمور البلاد إلي جشتاسب وولي هو إلي معبد النار وتفرغ إلي عبادة الله.

خف إلي قتال إيران أرجاسب الذي تملك توارن فحدثت حرب ضروس علي جيحون وصار النصر من نصيب إيران إلا أن زرير أخا جشتاسب خر صريعاً. ولما كانت بلخ بدون حراس فقد توجه أرجاسب ثانية إليها فخرج لهراسب من زاوية اعتكافه وقاتل عدوه يعاونه شعبه وقتل أثناء المعركة. أراد جشتاسب استرداد هذه المدينة من أرجاسب لكنه أصيب بالهزيمة وأجبر علي الإقامة مع جيشه بين الجبال الشاهقة فأشار عليه وزيره المحنك بأن يستعين باسفنديار الذي يستطيع وحده أن يخلصه من بلائه هذا. وكان جشتاسب قد طرد عنه ابنه اسفنديار بفعل سعاية الواشين فشجع جاماسب ذاك الشاب الشجاع علي إنقاذ إيران وتعهد له جشتاسب بأن يترك له التاج والعرش. ومن الأحداث المهمة في عهد جشتاسب ظهور زردشت واعتناق هذا الملك مذهبه، يقول الفردوسي في شاهنامته نقلاً عن الدقيقي بهذا الخصوص:

من إيوان جشتاسب حتى واجهة قصره ... ظهرت شجرة ذات جذوع كبيرة وغصون كثيرة

كل أوراقها مواعظ وثمارها عقل ... من أكل منها لم تمت روحه

مباركة العاقبة واسمها زردشت ... الذي قتل أهريمن الشرير

قال إلي ملك العالم أنني رسول ... إليك أهديك إلي الله

ودخل اسفنديار أيضاً دين ذردشت من قبل فلما شجعه جاماست علي قتال التورانيين شمر عن ساعد همته وتعقب أرجاسب واستعاد منه بلخ. ثم بذل اسفنديار كل جرأته لتخليص أميرتين كان الطورانيون قد أسروهما في بلخ وبعد

سبع وقائع خارقة أسر أرجاسب وقتله. أرسل جشتاسب اسفنديار لقتال رستم.

من حكايات الشاهنامة الشائعة حرب اسفنديار (تهمــتن) أي ذي الجــسد القوي مع رستم المشهور الذي لم يكن قد قبل دين زردشــت وصــراع هــذين البطلين القرنين القويين اللذين لم يتمكن أحدهما من هزيمة الآخر. في النهايــة تمكن رستم بأمر من العنقاء أن يزيل قرنه من الميدان بعصا من شجر الطرفاء ذات فرعين. وفي رواية قام رستم بتربية بهمن ولد اسفنديار وآثر جشتاسب في آخر عمره الاعتكاف والاعتزال وترك الملك إلي بهمن المعــروف بــذي اليــد الطولي (درازدست). وفي رواية أخري أن بهمن هو أخو اسفنديار وخليفته من بعده. وهلك رستم بدوره علي أثر خيانة أخ لأبيه اسمه (شغاد) حين سقط فــي خندق يمتلئ بالأشواك[1]، وطرد بهمن فرامرز ولد رستم عن سيــستان انتقامــاً لمقتل اسفنديار. وبعد بهمن أو بهمين جلست علي العــرش زوجتــه أو ابنتــه (همای). وهماي أم (داراب) وتركت الملك لــه. وتعــارك داراب مــع فيليــب المقدوني وتزوج بنته لكن بعد أن حملت منه طلقها. وطبقاً لهذه الروايــة فــإن الإسكندر المقدوني هو ابن نفس هذه الإبنة من زوجها داراب (بعد أن ســرحها) وولدها منه. الإيرانيون لم يكونوا يعتقدون أن رجلاً أجنبياً يــستطيع أن يــسقط دولة الكيانيين ولهذا فقد اعتبروا الإسكندر ابناً لداراب الأول[2].

وبعد داراب الأول خلفه ابنه داراب الثاني المــشهور بالقــسوة والبخــل

---

(١) في رواية كان جُبّا يمتلئ بالسيوف والرماح والأصح (المعرب).

(٢) وهو نفس ما حدث عند زوال آل ساسان علي يد المسلمين، فقد جعلــوا النــسب الملكــي الإيراني القديم متصلاً حين ذهبوا إلي أن أم الأمام زين العابدين الإمام الرابع عندهم هي ابنــة آخر ملك ساساني، وذلك لتخليد ملكهم حتى ظهور المهــدي وللــربط بــين الملــك والــدين. (المعرب)

وطالب الإسكندر الذي خلف أباه فيليب بأداء الخراج وعلي أثر ذلـك انـدلعت الحرب بينهما ففتح الإسكندر بلاد إيران وفي النهاية قتل داراب الثاني علي يـد رجلين من أتباعه هما جانوسيار وماهيار. ومن هذا التاريخ فـصاعداً تتـصل الأساطير القومية بالأحداث التاريخية. وقد حيكت أسطورة في الإسكندرية عـن الإسكندر يخرج شرحها عن موضوع الكتاب.

الأشكانيون:

ذكر فيما يتصل بهذه الأسرة في شاهنامة الفردوسي أسماء عـدة ملـوك منهم وحسب:

الأول أشـك مـن ذريـة قبـاد — والثاني كـان سـابور مـن ذريـة خـسرو

والثالث جودرز مـن الأشـكانيين — ثم بيجن وهو من أخـلاف الملـوك الكيـانيين

ثـم نرسـي وأورمـزد الكبيـر — ثم آرش الذي كان شهيراً عظيمـاً

فإذا تركت هـؤلاء تـري أردوان المعـروف — والعاقل ذا الحكمة والروح المنيـرة

فرق عطاياه الجزيلة علي الأكفـاء

ولما تملك بهرام وهو من الأشكانيين — الذي أمّن الأغنام من مخالب الذئاب

ثـم أردوان الكبيـر كمـا سـموه — ولم أقرأ سيرهم ضمن سير الملوك

لم أسـمع عـنهم غيـر أسـمائهم

الساسانيون:-

بخصوص هذه الأسرة، مع أن أساطير رويت حول بعض ملوكها، لكن بما أن أسماءهم وكثيراً من وقائع حكمهم التي رواها المؤرخون الشرقيون تتفق مع الحقائق التاريخية فلسوف نضمن تاريخهم في تأريخنا لهم بهذا الكتاب في موضعه.

نظرة عامة إلي تاريخ إيران

سكان بلاد إيران العريقة أهدوا في عهودهم الخوالي أو بعد الإسلام علي السواء الحضارة الإنسانية خدمات جليلة، وعلي طول القرون المتمادية كان الإيرانيون أعلاماً في العلم والمعرفة وحماة للأدب والفن. قام فتح ملوكهم العظماء للعالم وإدارتهم علي أساس العدل والإحسان وكانوا يحترمون عقائد الأمم المغلوبة. ورسومهم حتى يمكن لأهالي البلاد المفتوحة إظهار استعدادهم وملكاتهم الفطرية وكفاءتهم الموهوبة بكامل حريتهم ولهذا فلم يكونوا يجبرون هذه الشعوب علي اتخاذ رسومهم وتقاليدهم أو حتى لغتهم. لم يبرز الإيرانيون كفاءتهم في فتح البلدان وحسب بل أوجدوا طريقة خاصة في إدارة هذه البلاد المترامية الأطراف التي لم تر عين بشري نظيراً لها حتى عهد دارا الكبير وتمكن الملوك الهخامنشيون من إدارة سائر البلاد الواقعة بين نهر جيحون ونهر النيل.

أما عن الفكر والعقيدة الدينية فقد أسدي الإيرانيون القدامى إلي البشرية خدمات عظيمة أخرى، فقد فتح ظهور (زردشت) وانتشار دين هذا الرسول

الإيراني [1]القديم باباً آخر أمام العالمين ونفذت تعاليم زردشت العالية المؤسسة علي الانحياز إلي الخير وقتال الشر في كافة الأديان القديمة فقوت بوجه غير مباشر الفكر الإنساني وربّته. وفنون إيران سواء في العهد الهخامنشي أو الساساني ملفت للاهتمام بحد كبير ولا تزال أطلال المعمار القديم الإيراني تقف شاهداً علي عظمة إيران.

بعد سقوط الحكم الساساني والغزو العربي لم يفقد الإيرانيون شخصيتهم ولم يطل بهم الأمر مع قبولهم دين الإسلام الحنيف الموافق لأفكارهم وأخلاقهم حتى أمسكوا بأعنة أمور العالم الإسلام بصورة مباشرة أو غير مباشرة من الناحية السياسية والاجتماعية والأدبية والعلمية إلي حد أنه يمكن القول إن الحضارة الإسلامية ما هي إلا استمرار للحضارة الإيرانية القديمة.

ونعني بذلك أن الإيرانيين كما فازوا بقصب السبق من سائر البلاد الإسلامية في مضمار السياسة غدوا كذلك أئمتهم في العلم والأدب[2]. وإنك

---

(١) في بحث لنا عنوانه (بين إبراهيم وإسرائيل وزردشت) – القاهرة ١٩٩٢ – رجحنا أن زُردشت ظهر قبل هجرة الآريين إلي البلاد التي سميت علي أسمهم (إيران) أو قبل ظهور إيران بفترة طويلة فليس زردشت إيرانياً إذن. (المعرب)

(٢) في مذهب المؤلف تحيز ومغالطة فقد شارك جميع المسلمين في تأسيس الحضارة الإسلامية، فإلي جانب حضارة إيران لابد من ذكر معارف العرب والنبط والسريان والرومان والمصريين والهنود وحضارة بابل وآشور، فالحضارة الإسلامية هي أخلاط الحضارات الشرقية والغربية علي السواء وأضاف إليها الإسلام تعاليمه وهديه. (المعرّب)

لتعجب حين تعلم أنهم كانوا أساتذة للعرب في مجال اللغة العربية وجمعوا لهـم ألفاظها وألفوا في صرفها ونحوها وأظهروا مواهبهم في تفسير القرآن الكـريم والحديث والفقه والتاريخ والرياضيات والطب وغيرها. ومع أن تأليفات هؤلاء العلماء باللغة العربية إلا أن الإيرانيين لم يصيروا عرباً ولم تُمح اللغة الفارسية ولم تفنَ الأخلاق والطباع الإيرانية. كما يشهد على هذه الدعوى الأدب الفارسي بعد الإسلام. وبعد سقوط الخلافة العباسية والهجوم المغولي استأنس الإيرانيـون المغول تدريجياً وعرفوهم الحضارة وفي النهاية صبغوهم بالـصبغة الإيرانيـة وقاموا بنفس الفعل تقريباً مع خلفاء تيمور لنك.

والعهد الصفوي أحد العهود الوضاءة في تاريخ إيران بعـد الإسـلام إذ اجتهد ملوك هذه الأسرة بدرجة عظمى في تعمير إيران وتقوية الوحدة الوطنية الإيرانية وجعل المذهب الشيعي مذهباً رسمياً. وبعد أفول شمس مجد الصفويين طَهّر نادرشاه [1]الأفشاري إيران من الأجانب وبلغ بحدود فتوحاته إلـي وسـط الهند. لكن من أسف أنه بعد نادرشاه وكريم خان الزندي استغرقت إيـران فـي منام عميق وفي مدة مائة عام من حكم القاجاريين سقطت أجـزاء مهمـة مـن أراضي إيران في يد الأجانب وخربت البلاد العامرة والطرق المعبدة وأقفل باب العلوم والفنون أمام هذا الشعب المحب للعلوم والمشجع للفنون. سـلب الأمـن والراحة قطاع الطرق في الصحاري والحكام شبه المستقلين الذين بسطوا بساط ملوك الطوائف في المدن فصار استقلال إيران نهب الأخطار فـألقي الأجانـب برحالهم في هذا البلد وأخذوا يفعلون كل ما يـشتهون. ولـم تـستطع الثـورة

---

(١) نادرشاه لم يكن إيرانياً أو شيعياً بل كان أفغانياً سنياً وسكت المؤلف عـن ذلـك حتـى لا يناقض نفسه خاصة أن الصفويين أصلاً أتراك، فالأفضل أن يتخلص كل مؤلف من العـصبية القومية والمذهبية والفكرية. (المعرب).

الدستورية وتضحيات الوطنيين أن تحول دون مطامع الساسة الأجانب أو الفساد والاضطراب بالداخل.

وسوف نقسم تاريخ إيران إلي قسمين:-

الأول يتعلق بتاريخ إيران قبل الإسلام أو تاريخ إيران القديم، والثاني يختص بتاريخ إيران بعد الإسلام وسوف نبحث القسم الأول تحت فصول أربعة هي:-

- الفصل الأول: سلطنة الماديين.
- الفصل الثاني: الأسرة الهخامنشية.
- الفصل الثالث: الأشكانيون.
- الفصل الرابع: الساسانيون.

الفصـــــل الأول
سلطنة الماديين

الفصـــــــــل الأول

سلطنة الماديين

هجرة الآريين:-

منذ سالف الزمان المجهول البداية هاجرت شــعبة مــن الجــنس الآري موطنها (وربما يكون هضبة البامير) وأقامت في الــصغد (ســمرقند وبخــارا) ومرو، ولما شقت عليهم الإقامة في هذه المناطق لوقوع أحداث عديدة اتجهــوا ناحية بلخ وخراسان ثم انتشروا منهما إلي سائر مناطق إيران. ولا نعلم تــاريخ هجرتهم ولكن يمكن التخمين أن نهاية هجراتهم وقعت بين القرن التاسع والثامن قبل الميلاد. وأهم الشعوب الآرية التي آثرت الاستقرار في هضبة إيران كــان الشعب المادي أو الميدي والشعب البارسي أو الفارسي.

المــــــاديون:-

كان الماديون ست قبائل يلتئم شملها وقت الخطر وكان يعملون في البداية بالرعي لكنهم عملوا بالتدريج بالزراعة. أقام الماديون في غرب إيران وشمالها الغربي أي (آذربايجان وكردستان وعراق العجم) وكانت مواطنهم قبل تأســيس دولتهم ساحة لإغارات الآشوريين وهجماتهم.

ديوكـــــــــس:-

حسب رواية هيرودوت فأول رجل اختاره الماديون لحكمهم هو (ديوكس) أو (دجوسيس **Déjoces**) ابــن (فــرا أورت **Phraorte**) الــذي جعــل مــن

(هاجمانانا) أو (أكباتان أو همدان) عاصمة له. وكان لهذه العاصمة سبعة أسوار يشرف أحدها علي الآخر وأسس قصر الملك وخزائنه في القلعة أو السور السابع. نجح ديوكس في توحيد الماديين وتأسيس شعب واحد وحكم ثلاثة وخمسين عاماً (من ٧٠٨ حتى ٦٥٥ ق.م).

فرا أورت أو فرافرتيش:-

خلف ديوكس ابنه فرا أورت أو فرا فرتيش **Fravartis** وتابع سياسة أبيه نفسها وأدخل أثناء حكمه قبائل البارسيين في طاعته وعقد عزمه علي أن يتخلص من دفعه الجزية لآشور، لكنه مني بالهزيمة في الحرب التي دارت بينه وبين الآشوريين ولقي مصرعه وحكم اثنين وعشرين عاماً (٦٥٥-٦٣٣ق.م).

كياكسار أو هُوَخْشترا:-

جلس علي العرش من بعد فرافرتيش هفخشترا **Huvakhchatara** الذي يسميه اليونانيون كياكسار (سياكزار). اتصف هذا الملك بحسن الإدارة وكفاءة القيادة فأسس جيشا مرتباً منظماً وسلّح مشاته بالسهام والأقواس والسيوف وتفوق فرسانه علي فرسان آشور لأن الرجل الميدي كان يتمرس من نعومة أظفاره علي ركوب الخيل وإطلاق السهام.

دخل كياكسار بلاد آشور وحاصر عاصمتهم (نينوا) لكن منعه من الاستيلاء عليها قدوم الأخبار عليه بأن (السيث) قد انثالوا يغيرون وينهبون آذربايجان من ناحية القوقاز. وبعد القضاء علي خطر هذه القبائل وهدوء باله من ناحيتهم، تحالف نبوبولاسار **Nabopolassar** حاكم بابل مع كياكسار ضد آشور فضرب الحليفان حصارهما علي نينوا. ولما رأي ساراكس **Sarakos** ملك آشور عاصمته تحدق بها الأخطار ألقي بنفسه وبأفراد أسرته طعمه للنيران

حتى لا يقعوا أسري في يد أعدائهم وسقطت في عام ٦٠٦ نينوا في يد نبوبولاسار فقام بتخريب هذه المدينة تخريباً تاماً. ومن هذا التاريخ دخل الشطر الأعظم من آسيا الصغري في طاعة الماديين وعقد مع كياكسار (نبوخُذُنصُر **Nabuchodonosor**) ولد نبوبولاسار رباط المودة فتزوج من الأميرة آميتيس **Amytis** ابنة ملك ماد. وبناء علي هذه الأحداث اعترف بهضبة إيران ومعها جزء من آسيا الصغري حتى نهر هاليس (قزل أيرماق) ملكاً للماديين. وتحارب كياكسار مع الليديين مدة ستة أعوام وفي العام السابع حدث كسوف للشمس ففزع الطرفان المتحاربان من هذه الظاهرة فركنا إلي السلام وتوسطت بابل بين ميديا وليديا وأصبح نهر هاليس حداً فاصلاً بين أملاك البلدين ووافت كياكسار المنية في العام التالي أي (٥٨٤ ق.م).

آستياك:-

آستياك أو ايشتوفيجو **Ichtuvegu** هو خليفة كياكسار حكم مدة مديدة بلا مشاكل. وفي عهده تميز بلاط ماد بكثير من الجلال والروعة والجمال وكان رجال البلاط ينعمون بكثير من الجلال والعظمة ويرتدون أردية حمراء مزينة بسلاسل ذهبية وقد جرّ الإفراط في كثرة البهارج والزينات ونبذ البساطة – وهذا بالطبع يستلزم صرف نفقات طائلة – إلي وقوع ملك ماد في مشاكل مالية فادحة فسخط عليه شعبه وفي عام (٥٥٠ ق.م) سهل علي قوروش الكبير الاستيلاء علي ماد دونما أدنى مشقة.

ملاحظة:-

مع أن مدة حكم الماديين كانت قصيرة ولكن ما يجدر ملاحظة أن الماديين كانوا أول شعب آري في تاريخ المشرق أسس حكماً وسلطنة وأنزلوا ضربة

شديدة بقوة الساميين الذين كانوا يحكمون في آسيا الغربية، وقد سلك الملوك الهخامنشيون العظام الذين ورثوا الماديين سياسة ملوك ماد نفسها يرافقها الخصال الحميدة والفكر المستنير حتى أخضعوا تحت حكمهم البلاد السامية في آسيا الصغرى ومناطق أخرى.

كان للماديين حضارتهم الخاصة التي نجهل تفصيلاتها وقد أفاد منها بالقطع الفرس الهخامنشيون ولا تفترق لغة الماديين عن الفرس فرقاً كبيراً، وما يمكن أن يقال في عقيدتهم الدينية أن ملوكهم كانوا يجلون مذهب المغان الزردشتيين واعترفوا بالمذهب الزردشتي مذهباً رسمياً لهم وأساس مذهب المغان غير معروف ولكن (زردشت) النبي الذي ولد بناء عن الدراسات التاريخية في آذربايجان عاصمة ماد وتربى بها يقول في (الجاثات) إن مقصده من دعوته هو أن يعيد الدين إلي طهارته الأولى. ويمكن الاستنباط من هذه المقولة أن مذهب المغان كان عبادة أهورامزدا – إله الخير الذي دعا لعبادته زردشت – لكنه امتزج فيما بعد بالخرافات والأساطير وأراد رسول إيران القديمة أن يزكيه مما لحق به من مفاسد. أما آثار الماديين ومعمارهم مع أنها تتصف بالأهمية فلم تبق إلي يومنا هذا ويشكك البعض في الآثار التي تنتسب إليهم ومنها تمثال أسد حجري بالقرب من همدان ومصطبة (دخمة) يعلوها نقش لأهورامزدا.

الفصل الثاني
الأسرة الهخامنشية

الفصل الثاني

الأسرة الهخامنشية

كان البارسيون أو الفرس من الجنس الآري أقاموا بعـد هجـرتهم مـن موطنهم الأصلي في هضبة إيران خاصة في ولاية فارس وحدود عيلام القديمة. وقد انقسم هذا الشعب إلي ست قبائل تعمل بالزراعة وأربع قبائل بدويـة لكـن أهمية الزراع من الفرس فاقت البدو. وتعد قبيلة (بازارجاد) أو (باسارجاد) التي كانت طائفة الهخامنشيين تعتبر من أتباعها وتنتمي إليها إحدي القبائل الفارسـية التي كانت تعمل بالزراعة. انفصل الهخامنشيون لأسباب غير معروفة عن سائر عشائر بازارجاد واتجهوا إلي عيلام واستولوا عليها مـن حكامهـا الأصـليين وجعلوا من (شوش) عاصمة لهم. عاش الفرس كما يتضح من النقوش الآشورية ردحاً من الزمن خاضعين لقوة ملوك نينوا ثم تحولوا إلي طاعة المـاديين بعـد سقوط آشور. ويمكن استنباط أنه نتيجة لهـذه الواقعـة الأخيـرة فقـد هـاجر الهخامنشيون إلي عيلام وأسسوا دولتهم.

كوروش الكبير:-

حكم قبل كوروش الكبير ثلاثة من الهخامنشيين دولة عيلام وهم (تيسبس) أو (تشيس بيش) وكوروش وكمبوجيه وعليه فإن كوروش الكبير المشتهر بـــ (سيروس) في المصادر اليونانية هو كوروش الثاني وهو الذي افتـتح فـصلاً جديداً في كتاب تاريخ العالم فقد كان بلا شك من نوابغ الزمان وطمحت أنظاره إلي أبعد من حكم عيلام فأراد أن يؤسس حضارة جديدة في العالم لكي تـتخلص جميع الشعوب من نير الظلم والجور وتحيا في مزيد من الحرية والأمن. ولهذا

فقد سمته الشعوب القديمة بالمنقذ وشبهه اليهود بالراعي المكلف من قبل الله تعالي برعاية عباده.

تسببت أوضاع ماد الداخلية إلي أن يثور كورش علي آستياك فانهزم جيش ملك ماد في واقعة بازارجاد، وعقب ذلك تمرد جنود آستياك عليه وأسروه وسلموه إلي كورش (٥٥٠ ق.م) وعامل كورش أسيره برحمة واكتفي منه بالطاعة والانقياد.

ألقت هزيمة آستياك وانتصار الفرس بالملك الليدي كرزوس **Gresus** في لجج الهموم فعقد النية علي قتال كورش فدخل في مفاوضات مع حلفائه المصريين واليونانيين لكن كورش لم يمهله فدخل (سارد) عاصمة ليديا منتصراً في عام (٥٤٦ ق.م). ويروي هيرودوت في شأن هذه الحادثة رواية ليست إلا محض خرافة وربما يكون أصلها أن الجيش الإيراني دخل سارد حينما كان كرزوس يتهيأ لإشعال النار في نفسه وأفراد أسرته لكن الملك الفارسي أمر بإخماد النار وأنقذ الملك الليدى. وبعد هذا الانتصار فتحت الولايات اليونانية في آسيا الصغرى علي يد قواد كورش.

وانشغل كورش فيما بين عامي ٥٤٥ و٥٣٩ ق.م بمحاربة الشعوب المقيمة بين بحر الخزر والهند واستولي في هذه الأثناء علي بلخ ومرو والسغد حتى حدود نهر سيحون. وظلت القلاع المحكمة التي شيدها في هذه البلاد قائمة حتى قدوم الإسكندر المقدوني. ثم ضمّ كورش إلي أملاكه زرنك (سيستان) ومكران.

وفي عام ٥٣٩ ق.م توجه كورش للاستيلاء علي المدينة القديمة ذات الشأن العظيم (بابل). وبما أن الاستيلاء علي هذه المدينة لم يكن يتيسر بالحصار والهجوم فقد لجأ كورش إلي تغيير مجري الفرات وبعد أن هزم بلتشر أو

بالتازار ولد نبونيد دخل الجيش الإيراني بابل عن طريق مجري الفرات القديم. أبدي كورش احترامه لعقيدة البابليين فمنع القتل والإغارة ولما دخل بنفسه بابل خف أهلها إلي استقباله عدوه منقذهم. وعامل كورش (نبونيد) برحمة كبيرة واكتفي بنفيه إلي كرمان.

لم يكن كورش يفرض مذهبه الديني وعادات قومه علي من يهزمه فأمر بإعادة الأصنام التي نقلها نبونيد إلي بابل إلي مقارها الأولي واستلم بنفسه يد الإله (بل مردوك) إشارة إلي أنه صار من جانبه ملكاً لبابل. وقد أسبغ كورش عدله ورأفته علي سائر الشعوب المغلوبة فردّ علي اليهود أواني الذهب والفضة التي أخذت منهم في بيت المقدس وسمح لهم بالعودة إلي فلسطين وتعمير ما خرب من معبدهم. ويعد بيان أو إعلان كورش في بابل حادثة مهمة في تاريخ البشرية لأنه أظهر فيه خلافاً لمن سبقه عدله ورأفته بالشعوب المغلوبة.

ولا يعرف في أي البلاد والشعوب دارت أواخر حروب كورش وما يمكن استنتاجه من الروايات المختلفة للمؤرخين القدامى هو أن القبائل الصحراوية بآسيا الوسطي قد جعلت من الحدود الشرقية للممتلكات الهخامنشية ساحة لنهبهم وسلبهم فخف كورش لدفعهم وقتل أثناء حروبه معهم عام (٥٢٨ق.م) وَوُورِي جسده في التراب في بازارجاد في المقبرة المعروفة اليوم (بمشهد أم سليمان).

كمبوجيه (قمبيز):-

خلف كورش ابنه الأكبر كمبوجيه (كامبيز أو قمبيز) وكان في مدة ملك أبيه والياً علي بابل وينوب عنه أثناء غيبته بينما تولي أخوه (برديا) الذي يسميه المؤرخون القدامى (سمرديس) حكم الولايات الشرقية. وقد تابع قمبيز بوجه عام سياسة أبيه لكن لا يمكن القول أنه كان يتصف بسمو أخلاق والده ويروي

هيرودوت أن قمبيز كان مصاباً بالصرع من أيام شبابه ولهذا فلقد كان يسلك في أيام سلطنته سلوكاً كان يؤوله المؤرخون علي قسوته وفظاظته.

اتجه قمبيز بعد القضاء علي الثورات الداخلية إلي الاستيلاء علي مصر عام (٥٢٦ ق.م) وقام بقتل أخيه برديا في الخفاء مخافة أن يثير المشاكل والقلاقل عليه أثناء غيبته. عبر قمبيز علي رأس جيشه صحراء سينا وألحق الهزيمة بفرعون مصر (بسمَّتِك) علي حدود بلوز أو بلوجيوم (بنيت مدينة بورسعيد علي خرائب بلوز **Péluse**) ولم يطل الأمر حتى وقعت عاصمة مصر (ممفيس) تحت طائلته (٥٢٥ ق.م). روي أن قمبيز قتل بسمتك لكن كتزياس – المؤرخ اليوناني – ذكر أن الفرعون المصري عاش بقية عمره حبيساً في سجن شوش.

أبدي الملك الإيراني احتراماً للشعائر الدينية المصرية وارتدي زي الفراعنة وأسبغ علي (لاديكه) زوجة أحمس فرعون مصر السابق كامل عطفه وأرسلها إلي أهلها باحترام وأمر قمبيز بإعادة بناء معبد (نيت) الكبير وترميمه بعد أن ألحق الجيش الإيراني الدمار به.

وأقدم قمبيز علي الاستيلاء علي قرطاج (تونس الحالية) لكن الفينيقيين لم يكونوا يرحبون بمساعدته ببحريتهم لأن سكان قرطاجنة كانوا من قدامي المهاجرين الفنيقيين لهذا صمم ملك إيران علي الاتجاه إلي قرطاج عن طريق اليابسة وأمر خمسين ألف جندي بالاستيلاء علي واحة معبد (آمون) في طريقهم ولم يصل أدني خبر عن هذا الجيش ويظن أنهم لقوا حتفهم جميعاً تحت الرمال المتحركة. علي أية حال فقد دخلت هذه الواحة تحت طاعة إيران لكن تاريخ الاستيلاء عليها مجهول.

وأراد قمبيز الاستيلاء علي النوبة ومملكة (ناباتا) التي استقلت عن مصر

وأثناء مضيه لها نفدت مؤونته وماؤه فاضطر قمبيز إلي التقهقر بعد أن تكبد خسائر فادحة. يروي هيرودوت أن قمبيز قد ساءت أحواله بعد فشله في الاستيلاء علي بلاد النوبة وانعدام وصول الأخبار عن جيشه الذي أرسله إلي واحة (آمون) فركبه القلق والغضب وسلك سلوكاً شائناً كان منه قتله للعجل المقدس (آبيس) وضرب الكهنة المصريين في ممفيس وإهلاكه لأخته ودفنه لإثني عشر رجلاً من أشراف الفرس أحياء وما كان يمكن أن يكون نتيجة إصابته من عهد شبابه بداء الصرع. ولا ندري مبلغ صحة رواية هيرودوت ولكن ثبت أخيراً أن قتل العجل المقدس علي يد قمبيز رواية عارية من الصحة لأن هذا العجل كان قد نفق قبل دخول قمبيز مصر.

واتجه قمبيز في عام ٥٢٣ عائداً إلي إيران وسمع وهو ببلاد الشام أخبار ثورات داخلية عليه وقيام رجل دين يسمي جوماتا **Gaumatta** بالمناداة علي نفسه حاكماً علي إيران علي أنه هو برديا أخو قمبيز، فبلغ به اليأس والقنوط حتى قتل نفسه بخنجره ولفظ آخر أنفاسه متأثراً بجراحه في مدينة أجباتانا بالشام. أقدم جوماتا في فترة قصيرة علي تدمير كثير من معابد البلاد التابعة وكان يهلك كل من كان يعرفه وأوقف الخدمة العسكرية ودفع الضرائب لمدة ثلاثة أعوام، فساء ظن أعيان المملكة به وانكشفت حقيقته باعتراف إحدى زوجاته ودلت علي شخصيته بأن أذنيه مصلومتان، فصدق كبار الدولة كلامها وتحالفوا مع داريوش أو دارا ودخلوا قصر جوماتا وأهلكوه وألحقوا به في ذاك اليوم كثرة من رجال الدين الموافقين له وجعلوا من ذاك اليوم عيداً يحتفل به كل عام.

داريوش الكبير (دارا الأول):-

نادي كبار المملكة بداريوش حاكماً بعد جوماتا. يعد دارا الكبير من ملوك

العالم الكبار الذين لم يَمَّحِ صيت قدرتهم وإدارتهم في العالم حتى اليـوم. هـزم خلال سبع سنوات وتسع عشرة معركة كافة المتمردين عليه الذين رفعوا رايـة الثورة في أطراف بلاده المترامية ونقـش (بيـستون) الـشهير يـذكر بهـذه الانتصارات العظيمة[1].

بعد القضاء علي الفتن الداخلية توجه ملك إيران إلي مـصر فـي عـام (٥١٧) وأهلك حاكمها أرياندس الذي كان يزمع العصيان. وأظهر حبه لرجـال الدين المصريين وأبدي احترامه لعقيدة أهل مصر وشارك بنفسه عزاءهم فـي موت العجل آبيس الذي كان نفق في تلك السنة وشيد في واحـة (تـب) معبـداً لآمون لا تزال أطلاله باقية. وفي عهد دارا بلغت مصر قمة عمارهـا وكانـت الولاية السادسة للإمبراطورية الهخامنشية. وكان والي مصر يقيم فـي قـصر الفرعون القديم ويخضع لأمره ثلاثة من الجيوش في مناطق مـصر المختلفـة. وبقيت الأراضي الزراعية كعهدها السابق تحت طائلة مـلأ فرعـون الـسابق وكهنته.

---

(١) حروب دارا لإخماد الثورات التي عمت تقريباً سائر البلاد الخاضعة لإيران كثيرة. في البداية ثارت عيلام فأرسل دارا جيشاً لها هزم ملكها آترينا وأسره وقتل بأمر من دارا. وثـار ابـن لنبونيد في بابل وطلب من أهلها الاعتراف به حاكماً عليهم تحت لقب بخت النصر فحاصـر دارا بابل واستولي عليها ثم عجل إلي ماد وهزم جيش فرافرتيش من أولاد كياكـسار وكـان يدعو نفسه حاكماً فقتله دارا. كذلك رفع في ساكارتي من يسمي (تشيترا تخمه) راية الثـورة فغلبه قائد دارا المسمي (تخمة سيادا) وشنقه. وسكنت ثورة أرمنية بيد دارا بعد أن فشل قائده دادرتيش في إخمادها. كما أخمد أبو دارا (فيشتاسب) حركات التمرد في بـارت وهيركـاني (جرجان). كما هزم دادرتيش والي باختر (فرادا) الذي تمرد في مرو. وادعي رجل تحت اسم بردياً ولد كورش الحكم لنفسه في فارس فهزمه دارا في واقعتين وشنقه. كما أعلـن رجـل أرمني الثورة ثانية في بابل وكان اسمه (أراخا) الحكم ملقباً نفسه بخت النصر واستولي علي المدينة فقضي قادة دارا علي العصاة بهذا البلد.

قسم دارا بلاده الواسعة إلي عشرين أو ثلاثين ستربة (ولاية كبيرة) ونصّب قائداً للجيش وكاتباً مخصوصاً لدي كل سترب أو والٍ حتى لا تتجمع كافة الصلاحيات في يد الوالي وكان الاثنان مكلفين بمراقبة الوالي وعلي اتصال مكتوب مباشر مع البلاط. وفوق ذلك أقر ترتيبات خاصة من شأنها تحول دون تعدي الولاة وإجحاف محصلي الضرائب وبسط العدل منها تعيين مفتشين خواص في سائر البلاد يكلفون بمراقبة الموظفين الكبار بالحكومة وتنصيب موظفين آخرين يتجسسون علي أعمال المسئولين ويرسلون تقاريرهم السرية إلي البلاط الملكي.

شق دارا الطريق الذي كان يربط سارد بشوش وطوله نحو (٢٤٠٠) كيلومتر وبكل منزل به شيد محطة للبريد ونقطة حراسة عسكرية وفنادق فخمة. كما سك دارا عملة ذهبية سميت (داريك) وخفف من الضرائب وشجع الزراع وحفر قناة تربط النيل بالبحر الأحمر وكانت السفن القادمة من البحر المتوسط تبحر من خلالها متجهة إلي المحيط الهندي.

كما بذل دارا جهوداً للارتقاء بفنون المعمار والنقش ويمكن القول أن هذا الملك الكبير قام بأعمال بارزة في كل المجالات الحضارية.

وفي حدود عام ٥١٢ ق.م دخل دارا البنجاب وضمّ أراضيها الواسعة وجعل منها ولاية جديدة. كما أمر ببناء سفن جعلها تحت قيادة (سجيلاكس) لتبحر من نهر السند وتتجه إلي الجنوب لتصل في نحو ثلاثة شهور إلي سواحل مكران وجزيرة العرب.

ومع أن ملك دارا كان قد بلغ حدوده الطبيعية أي امتد شمالاً إلي بحر الخزر والقوقاز والبحر الأسود وغرباً إلي البحر المتوسط وكانت مصر جزءاً منه لكنا نجهل السبب الذي جعله يفكر في الاستيلاء علي بلاد السيث أو السك

الأوربيين (روسيا الجنوبية). علي أي حال فما يمكن استنباطه في هذا الخصوص هو أن الملك الإيراني كان يود أن يخضع تماماً كل هذه القبائل الآرية التي كانت في الأغلب تثير المتاعب علي حدود وإيران، فعبر في (٥١٤) الجيش الإيراني مضيق (البسفور) عن طريق بناء أتباعه من يونانيي آسيا الصغرى جسراً من السفن عليه بأمر من الملك، فلما عبر البسفور وتراقيا (ثريس) وصل الجيش الإيراني إلي الدانوب وعن طريق جسر آخر مرتب من السفن المتراصة دخل سهول روسيا أو بلاد السيث.

ومكث الجيش الإيراني في تلك المروج والسهول نحو شهرين. وبما أن السيث كانوا قد قاموا بإتلاف كافة المؤن علي طريق تقدم الجيش الإيراني وولوا الأدبار منسحبين إلي داخل بلادهم فقد أصيب الإيرانيون بخسائر فادحة. وبعد ذلك عبر الجيش الإيراني بدون أي عائق نهر الدانوب وانقلب إلي سارد بدون إبداء اليونانيين أدني هجوم أو مقاومة له. خلَّف دارا ثمانين ألفاً من جيشه في أوربا فاستولوا علي تراقيا وأبدي ملك مقدونيا ولاءه وطاعته لإيران. اتبع اليونانيون سياسة النفاق فضلاً عن الخلافات الناشبة بينهم فمرة كانوا يستمدون حكام إيران بدافع الخوف أو التغلب علي خصومهم ومرة أخري كانوا يثيرون السكان علي ملك إيران. وبسبب هذه السياسة وأحداث برزت في آسيا الصغرى استولي المتمردون اليونانيون مباغتة وبعون من أثينا علي مدينة سارد وأضرموا بها النيران. ومع أنهم عجزوا عن السيطرة علي قلعتها المحكمة ولم يفيدوا من هجومهم هذا شيئاً إلا أن صنيعهم هذا أغضب دارا إلي حد أنه – كما يروي– أمر عبداً له بأن يذكره بفعل اليونانيين هذا الشنيع كلما قدم له الطعام.

وفي عام ٤٩٦ الحق بالثوار اليونانيين هزيمة نكراء وسقطت ميلتون عاصمة أيونيا وكانت مركز الثورة في آسيا الصغرى بيد الإيرانيين وأضير

أهلها إضراراً بليغاً. وأثناء عصيان اليونانيين بآسيا الصغرى انسحب الجيش الإيراني من تراقيا ومقدونيا فتحررت كلتا الولايتين. وعزم دارا ثانية على الاستيلاء علي هاتين الولايتين فأمر مردونيه (مردونيوس) بإتمام هذا العزم فنجح هذا القائد في مأموريته نجاحاً عظيماً وأعاد سيطرة إيران على تراقيا وأخضع الإسكندر بن أمينتاس ملك مقدونيا (٤٩٣ ق.م) واستدعي في السنة التالية مردونيه.

وفي عام (٤٩٠) تحرك الجيش الإيراني بقيادة أحد سكان ماد واسمه (داتيس) ورجل فارسي هو (أرتافرن) ولد الوالي الليدي بقصد الاستيلاء على بلاد اليونان عن طريق البحر. وأثناء طريقه استولي علي مدينة إريتريا بسبب أن أهلها تدخلوا لتحرير مدينة سارد وأشعلوا بها النار. وتواري أهلها في الجبال وأرسل الأسري منهم إلي شوش. ونزل الجيش الإيراني في (ماراثون) وتواجه الجيش الإيراني والأثيني لبضعة أيام بدون حرب ولم يجرؤ الأثينيون على المبادرة بالهجوم كما أن المدد الذي كانوا طلبوه من إسبرطة لم يصلهم. وفي نهاية الأمر أقنعهم (ميلتياد) علي المهاجمة فأخذ الأثينيون يهجمون علي الجيش الإيراني ولم يكن قد أتم ترتيب صفوفه أو حتى نزوله وتغلب اليونانيون على جناحي الجيش الإيراني وتعقبوا الإيرانيين حتى ساحل البحر. ولما رأي داتيس الأوضاع علي ذاك الحال انسحب بدون عراك آخر. وتعد واقعة (ماراثون) من الوقائع العادية لكن بسبب مبالغة اليونانيين صارت من وقائع العالم المشهورة[١].

وكان دارا يتأهب للانتقام ولخوض حرب أخري لولا أن الأجل لم يمهله فقضي نحبه في خريف عام ٤٨٦ ق.م.

---

(١) نذكر المؤلف بقول الشاعر العربي: لا تَنْهَ عن خُلُق وتأتي مثله *** عار عليك إذا فعلت عظيم. (المعرب)

خشايارشا:-

اختار دارا قبل موته خشايارشا لخلافته وهو ابن (آتوسا) بنت كورش فاستطاعت بنفوذها في البلاط أن تجعل ابنها ولي عهد أبيه. وتولي خشايارشا الذي يسميه اليونانيون (كزرسس) الحكم وهو في الرابعة والثلاثين من عمره وكان يتمتع بقامة طويلة وطلعة بهية لكنه مشهور بحب الشهوات وقسوة الطباع.

لم يكن خشايارشا يأبه بهزيمة ماراثون ولم ينو تجديد الحرب مع اليونان لكن مردونيه ذكره بخطورة هذا الأمر فَعَدّ الملك تأديب اليونانيين واجباً مناطاً به. وقبل شروعه في تنفيذ مهمته قام بإخماد ثورة شبت بمصر واشتد في تأديبه المصريين (٤٨٤). وفي السنة التالية ادعي رجل اسمه (شاماش إيريا) في بابل الحكم لنفسه فحاصر الجيش الإيراني بابل وبعد أن استولي عليها استباحها واسترق أهلها ومن هذا الوقت لم تستطع بابل ثانية أن ترفع راية العصيان علي إيران.

وفي خريف ٤٨١ انتهت الاستعدادات الحربية لخوض غمار الحرب مع اليونان. ولا ندري العدد الحقيقي لجنود الجيش الإيراني وما رواه هيرودوت بهذا الشأن مبالغ فيه. وعبر الجيش الإيراني الدردنل (هلس بونت) [1] فوق جسر من السفن ولما دخل الأرض اليونانية وجد (ليونيداس) ومعه سبعة آلاف من اليونانيين مكلفين بالحفاظ علي مضيق ترموبيل المعروف. وفي النهاية عبر الجيش الإيراني هذا المضيق وقتل ثلاثمائة إسبرطي وغيرهم كانوا أُجْبروا علي البقاء فيه عن بكرة أبيهم.

وقد مجّد اليونانيون هذه المقاومة وعدوها مثالاً عظيماً للوطنية. وبعد أن

---

(١) تعني في اليونانية (معبر الشرق) وهي مضيق الدردانلّ حالياً. (المعرب)

عبر الإيرانيون المضيق المذكور اتجهوا إلي أثينا. ولما كـــان اليونـــانيون قـــد اهزموا النيران في سارد في عهد دارا أقدم الإيرانيون بدورهم بعد فتحهم أثينـــا انتقاماً علي إشعال النار في (الأرك) ومعبد (أثينا). في هــذه الأوقـــات وصـــل الأسطول الحربي الإيراني الإيراني لكنه قوبل في طريقه بالعواصف الشديدة التي أغرقت عدداً من سفنه. ووقعت حرب في بوغاز (سالامين) وبـــسبب ضـــيق ســـاحته عجزت البحرية الإيرانية عن القيام بعمليات ذات أثر وبالتالي تمكن اليونـــانيون من مقاومتها وإيقاع الهزيمة بها وعدت هذه الواقعة إحدى أكبر مفاخرهم. وبعد هذه الحرب ترك خشايارشا عدداً من جيشه تحت قيادة (مردونيـــه) فـــي بـــلاد اليونان وآب إلي آسيا.

كان استقلال بلاد اليونان في معرض الخطر ما بقي مرودنيه حيا غير أن القائد الإيراني هذا لقي مصرعه في حزب بلاتيا **Platée** المشهورة التي جرت في ربيع ٤٧٩ فحلت الهزيمة بالجيش الإيراني بعـــد فقـــده قائـــده واســـتطاع اليونانيون من هذا الوقت الاحتفاظ باستقلالهم.

وفي صيف ٤٦٥ تمكن أحد خصيان الملك بمساعدة من قائـــد الحـــرس الملكي من قتل خشايارشا أولاً ثم ابنه الأكبر دارا وبعد سبعة شهور انتويا القيام بنفس الصنيع مع الابن الأصغر لخشايارشا المسمي أردشير لكن أردشير دافـــع عن نفسه بكل شجاعة واحتفظ بالعرش والتاج لنفسه وعاقـــب الخونـــة علـــي خيانتهم.

أردشير درازدست (الطويل اليد) أو (ارتخشتر)

والذي يسميه اليونانيون أرتاكزرسس **Artaxerces** حكـــم (٤١) عامـــاً وتميزت فترة حكمه بالهدوء ما عدا بضع سنوات في بدايتها حين انتصر علـــي

فيشتاسب ولد خشايارشا الذي ادعي السلطنة له في الشرق في معركتين (٤٦٢) وانهزم إينار دس الذي رفع راية التمرد في مصر وكان يتلقى العون خفية من أثينا علي يد والي سورية بغابيش (مكابيتر) وخمدت ثورته لكن نفس هذا الوالي فيما بعد ركن إلي الثورة وألحق الهزيمة مرتين بجيش إيران وفي النهاية تصالح مع أردشير فسكنت أحوال مصر. ومن الأحداث الأخرى لعهد أردشير عقده معاهدة كيمون أو سيمون بين إيران وأثينا وبموجبها تحددت مناطق نشاط بحرية الطرفين واعترف الأثينيون بقبرص جزءاً من الأفلاك الإيرانية وتوفي أردشير عام ٤٢٤.

خشايارشا الثاني ولد أردشير الأول:

لم يحكم سوي ٤٥ يوماً وقتله (سغديانس) وهو ابن لأردشير الأول من زوجه له أخري اسمها (ألوجونة) ولم يستفد من عمله هذا كثيراً ولقي مصرعه هو بدوره.

دارا الثاني:-

جلس علي العرش بعد سغديانس أحد أخوته باسم دارا الثاني ويسميه اليونانيون (أخُس) وفي عهده أجبرت المدن اليونانية بآسيا الصغرى علي دفع الجزية لإيران. طلبت إسبرطة عون ملك إيران في قتالها مع أثينا إلا أن دارا الثاني لم يكن يقبل القضاء علي أثينا مع أنه حليف لإسبرطة وأمدها بمساعداته عن طريق ولاته بآسيا الصغرى وذلك لكي تظل المنافسة والعداء قائمين بين هاتين المدينتين.

وكانت زوجة دارا واسمها (بروشات)[1] امرأة تحيك الدسائس ولها يد في سائر المؤامرات والمكائد التي تدور بالبلاط في الخفاء، ولا يمكن القول في حكم دارا الثاني إلا أنه كان يخمد الفتن والمشاكل بالدسيسة والرشوة بدلاً من التدبير والشجاعة وهذه الأوضاع والأحوال تفسر ضعف الحكومة الهخامنشية، وتوفي دارا في بداية (٤٠٤).

أردشير الثاني:-

حكم إيران بعد (أُخُس) ولقبه اليونانيون بسبب قوة ذاكرته الخارقة (منمن **Mnemon**) أثار عليه أخوه الشاب كورش وهو ابن بروشات وكان والياً لآسيا الصغرى وكان الجنود اليونانيون يساعدونه ضد أردشير واشتعلت الحرب بين الجانبين في كوناكسا قرب بابل وقتل كورش وتمكن عشرة آلاف جندي يوناني من العودة إلي اليونان بقيادة كزنفون (المؤرخ اليوناني الشهير). وتثبت هذه الحادثة التي تسمي (عودة العشرة آلاف جندي) أن آثار الضعف كانت قد بدت علي الحكم الهخامنشي.

وقرب تحالف إسبرطة مع كورش أثينا إلي إيران واتحد الأسطولان الأثيني والإيراني، وعمرت أسوار أثينا وقلاعها بمساعدات إيران وفي الحرب التي دارت بين إسبرطة وأثينا لحقت بمعاونة إيران الهزيمة بالأسطول الإسبرطي ولم يجد الإسبرطيون أخيراً مناصاً من التقرب إلي إيران وتبعاً لهذا عادت الولايات اليونانية في آسيا فضلاً عن جزيرة قبرص إلي سيطرة إيران

---

(١) في مصادر أخري أسمها (پري زاد) أي (بنت الجنّية) ويضرب بها مثل في الدسيسة والمؤامرة ويمكن أن نقول إن نهاية حكم خشيارشا هو بداية ضعف الدولة فوق تدخل نساء القصر في إدارة أمور البلاد وفق مشيئتين. (المعرب)

كما قضي بذلك الصلح المعروف بـــ (أنتالسيدس) الذي وقع في خريـــف ٣٨٧ وصار ملك إيران حكماً فاصلاً في المنازعات الناشبة بين المدن اليونانية يرجع إليه جميع المتخاصمين. ومع هذا فقد كان الضعف والوهن متبدياً في الأحـــوال الداخلية لإيران فارتفعت رايات العصيان والثورة في مصر وآســـيا الـــصغرى وغيرهما وانتهت بعض هذه الثورات بانتصار الثائرين وانتهي البعض الآخـــر إلي الفشل بالدس وخداع الثوار. ثم أن حوادث القتل والانتحار كانت الظـــاهرة السائدة في البلاط الملكي، وفي العاقبة قضي أردشير الثاني في عام ٣٥٨ نحبه من فرط حزنه وكمده علي ابن له أصيب بمقتل.

أردشير الثالث:-

جلس علي العرش من بعد أردشير الثاني ابنه أُخُس باسم أردشير الثالـــث وتميز هذه الملك بإرادة صلبة لكنه كان فظ الطبع قاسي القلب. بدأ حكمه بقتلـــه الأمراء من أسرته ثم صرف همته إلي القضاء علي الثورات الداخلية. ولما كان (تُبْنيت **Tobnit**) ملك صيدا قد أوقع الهزيمة بواليين للملك بمعونة المـــصريين والمرتزقة اليونانيين فقد تحرك أردشير بشخصه لقمعه وتأديب المصريين. ولم يجد (تبنيت) بدا من تسليم صيدا ومع هذا فقد أمر أردشير بقتله وقتل أتباعـــه، فتواري سكان صيدا في منازلهم وأحرقوا المدينة بقصد ألا يجد أردشـــير غيـــر الخرائب في المدينة حين يدخلها. وتمكن أردشير بعد هذا النصر من فتح مصر (٣٤٥) بمساعدة منتور **Menthor** اليوناني كما استعاد بعونـــه أيـــضاً آســـيا الصغرى.

وفي عام ٣٣٨ دس الخصِي المسمي (باجواس) السمّ إلي أردشير وأجلس مكانه ابنه الأصغر أورسيس **Oarses** ثم أقدم علي قتله هو الآخر وتـــوّج دارا الثالث وهو من أعقاب دارا الثاني ملكاً علي إيران.

دارا الثالث وانقراض الأسرة الهخامنشية:-

جلس دارا الثالث الذي يسميه اليونانيون (كودومان) علي عرش إيران عام ٣٣٦ وأزمع باجواس علي أن يجعل من دارا خاضعاً بالكامل لإرادته، ولكن هذا الملك لم يكن يرحب بإزماعه هذا فقصد إلي التخلص منه بدس السم إليه وأجبره دارا علي أن يتناول الطعام المسموم الذي أعده إليه وبهذا تخلص من شرور هذا الخصى. ومع ذلك استشري الضعف في الدولة ويمم الإسكندر المقدوني ابن فيليب وجهه شطر الإستيلاء علي إيران ومستعمراتها.

كان فيليب والد الإسكندر يروم قتال إيران لكن العمر لم يساعده إذ أنه مات عام ٣٣٦. وتابع الإسكندر عزم أبيه فعبر الدردنيل (هلس بونت) في ربيع ٣٣٤ يترأس أربعين ألفاً من المقاتلة، وبعد واقعة (جرانيك) دخل آسيا الصغرى وحرر المستعمرات اليونانية. وصمد أحد قواد إيران يعاونه القبطان اليوناني (ممنن) في الدفاع عن (هاليكارناس) باستماتة لكن صموده لم يجده فتيلاً. ودخل الإسكندر براري قليقيا ماراً من قبادوقيا وفي إيسوس Issos التقي بالجيش الإيراني وجرت المعركة التي انتهت بانتصار الإسكندر[١].

وفي دمشق وقع سرادق الملك وأسرته أسري في يد بارمنيون. وبعد هذه الواقعة اقترح دارا الصلح ورفض الإسكندر واتجه إلي سورية وصمدت أمامه مدينة تير (صور) لسبعة شهور وعطلت تقدمه وقاومته غزة لمدة شهرين. ولما فتح الإسكندر المدينتين سلك مع أهليها أقسى ألوان الفظاظة وتقدم إلي مصر فاستقبله أهلها استقبالاً حسناً وبني الإسكندر مدينة الإسكندرية.

---

(١) سبب انتصار الاسكندر في إيسوس كما يروي أن الفرسان الإيرانيين انحصروا بين الجبل والبحر فضاقت عليهم الأرض بما رحبت وعجزوا.

وفي (٣٣١) توجه الإسكندر من مصر إلي سورية ومنها إلي بين النهرين (العراق حالياً) ودارت رحى الحرب الضارية بين جـيش إيـران والإسـكندر بالقرب من إربل[١]. حيث دارت الدائرة علي إيران وبعد إربل سقطت شـوش واصطخر[٢] في يد هذا الفاتح المقدوني وأضرم الإسكندر النار بمدينة اصطخر بدافع النقمة والكراهية أو من فرط الشراب. لم يقنط دارا الثالث وأخـذ يلملـم شتات جيشه ليستأنف قتال الإسكندر لكن اثنين من ولاته وهما بسوس وبرسانتس أسراه وقتلاه (٣٣٠). كان بسوس يفكر في السلطة لكن بطليموس عاجل وقابله وصرفه عن خياله هذا[٣].

بعد هذه الوقائع ضم الإسكندر إلي ملكه طبرستان وجرجان وخراسـان وسيستان وأفغانستان وفي (باختر) تزوج الإسكندر من (روكسانا) وهي إحـدى الأميرات، ومنها اتجه إلي وادي السند فسلّم له تاكسيل وقاتلـه (پورس) بكـل شجاعة حتى وقع أسيراً في يده. وعاد جيش الإسكندر من (پتالا) إلـي إيـران ومنها إلي بابل ورام أن يجعل منها عاصمة له. لكن التعب والإعياء بسبب طول رحلته قد نالا منه وأقعداه فأصيب بحمي من مستنقعات بابل أفـضت بـه إلـي الموت في قصر نبوخذ نصر وهو في الثانية والثلاثين من عمره وحمل جثمانه إلي الإسكندرية وأودع الثري في موضع منها لا يزال مجهولاً حتى اليوم.

---

(١) حرب إربل Arbel أو كوجامل هي آخر حرب قادها دارا بنفسه مع الإسكندر وعدة الجـيش الإيراني غير معروفة وروي البعض أنها وصلت ألف ألف رجل وهذا من قبيل المبالغة. قاتل في هذه الحرب الإيرانيون بشدة واستماتة بحيث اشتدت الحال علي (بارمنيون) قائد الإسكندر فاستمد الإسكندر لكن بسبب أن رمحاً أصاب دارا فسقط وظن الجنود أنه قتل آثروا الفرار.

(٢) قبل أن يدخل الإسكندر (برسوبوليس) ابتلي بالمقاومة الشديدة من قبل (آري برزن) الذي ظل ينافح عن العاصمة حتى آخر أنفاسه.

(٣) أسر قائد إيراني تابع للإسكندر بسوس وقتله بهمدان.

يعد الإسكندر من قواد العالم المشاهير وكـــان يخطـــط لتوحيـــد الـــشرق والغرب ويؤسس منها دولة واحدة وينشر فيها الحضارة اليونانية، لكن الخطوات التي اتخذها هذا القائد المشهور وعملياته برهنت علي أنه كان علي النقيض من كورش الكبير المتصف بالعدل والرأفة ومن دارا الكبير المتفقه في حسن الإدارة والتنظيم. لأن أعماله القاسية في صور وغزة وإحراقه اصطخر وشنقه البراهمة في الهند وقتله قدامي أصدقائه ورفاقه وتقديمه بضعة آلاف من شعب (كوســـى) قرابين رحمة لروح أحد قادته القتلى وإحراقه الأبستاق (حسب رواية البارسيين) كل هذا يلطخ سيرته وسيره.

صحيح أن هذا الفاتح تلطف بأسرة دارا الثالث وتأثر لقتله وأمر بدفنه بكل احترام وإعزاز وجمع رفات كورش الكبير وأعاد دفنه بمقبرته وبني مدناً جديدة مثل الإسكندرية في مصر ومدينة أخري باسم إسكندرية في الشرق (خجند) لكن لا محيص من تبين أن هذه الأعمال العظيمة هـــل عوضـــت كـــل الأضـــرار والخسائر التي كبدها للشرق وسائر المجازر التي قام بها والبلاد التي خرَّ بها ؟ علي أية حال فإن الإسكندر حين وافته المنية لم يخلف إدارة منظمة من لدنه ولم يعين خليفة لائقاً له.

نظم الهخامنشيين

الإدارة – الدين – العمارة والآثار

الإدارة:-

أبدي الملوك الهخامنشيون احترامهم عادات الشعوب المغلوبة وعقائدهم الدينية في إدارتهم بلادهم ولم يبطلوا إدارتهم الخاصة بهم بل كانوا ينصبون رؤساء محليين من أهل البلد نفسه في الأكثر وفضلوا ألا يفضلوا عليهم غريباً عنهم فقد كان علي سبيل المثال يدير حكومة الفينيقيين حاكم منهم وكان رؤساء بلاد مصر من أهلها وعاش اليهود في أمن تام ويتولى حكومتهم الدينية رجل منهم ولم يكن يضايق هذه الشعوب أحد ماداموا يدفعون الضرائب المقررة ويعدون أنفسهم أتباعاً لإيران ورعايا للشاه.

وكما ذكرنا في تاريخ دارا فقد انقسمت بلاد إيران الواسعة من أربع وعشرين حتى ثلاثين ولاية وكان يعاون كل والٍ حاكم يسمي (خشترپا) وكاتب كان يراقب أعمال الوالي ويطلع البلاط عليها رأساً. وكان بكل ولاية قائد للجيش ولكل قلعة بكل مدينة قائد يسمي (أَرْح بَتْ). وكان قائد الجيش والكاتب يؤديان مهامهما باستقلال عن الوالي ويرتبطان مباشرة بالبلاط. وكانت أوامر الملك تصل إلي البلاد المعنية عن طريق عربات البريد التي لا تنقطع أسفارها علي الطرق وكانت تطوي أرجاء الإمبراطورية الواسعة. وكان عدد من الموظفين المسمين بعين الملك وأذنيه يسافرون إلي أبعد المستعمرات كل عام للتفتيش والتحري ويرسلون بتقاريرهم وتحقيقاتهم إلي البلاط الذي كان يصدر قراراته الحتمية بناء عن تقارير هؤلاء المفتشين فكان الملك يحكم بعزل الوالي ويحكم بموته في بعض الأحيان. وفي بعض الأوقات كان الوالي يتولى بصورة مؤقتة

مهام قائد الجيش وصار هذا التقليد سارياً بصفة دائمة في عهد الإسكندر.

الضرائب:-

كان من مهام الوالي جباية الضرائب التي كان الأهلون يدفعونها عينـــاً أو نقداً. وكانت تحدد الضرائب وتجبي كجزية علي نحو ثابت من كل قـسم مـن إيران والمستعمرات كما كان الولاة يحصّلون نصيباً من المال يفرضونه علـي الأهالي لأنفسهم فوق الضرائب المقررة التي كان الولاة مجبرين علي إيـصالها ودفعها للبلاط. ولهذا كما يروي بلوتارخ المـؤرخ اليونـاني قلّـل دارا قيمـة الضرائب فجعلها النصف حتى لا تتحمل الرعية أكبر من الضرائب المقررة.

وفي عهد دارا الكبير غدا استعمال النقود أمراً مرعياً في آسيا الـصغرى بل كان العملة الفضية تُسَكّ من قبله إلا أن دارا رَوَّج العملة الذهبية. وكان وجه هذه العملة تظهر عليه صورة رام للسهام راكع علي الأرض.

الجيـش:-

كان الولاة يحولون في حدود حكمهم وولايـاتهم دون حركـات التمـرد والحروب الداخلية ويوفرون آليات الأمن بالطرق وكان "مستحفظو الشاهنـشاه" وحراس القلاع المهمة يشكلون جيشاً دائماً للبلاد. وكان المستحفظون يتألفون من ألفي فارس وألفي راجل من نجباء فارس ومـاد وأعيانهـا مـسلحين بالـسهام والأقواس والرماح الطويلة التي تقارب مترين، ثم يليهم عـشرة آلاف جنـدي يشكلون الجيش الخالد، وحين تقع الحرب كانت الجنود تجنّد من أطراف الـبلاد وأكنافها ومن بين الشعوب المختلفة الخاضعة، وبلا شك كان تجميع مثـل هـذا العدد من الجند حين كان يتوجه الشاهنشاه بنفسه إلي مقاتلة دولة أجنبية أو يقمع ثائر قوي لأن الولاة كانوا يتولون بأنفسهم إخمـاد نيـران الحـروب الداخليـة

بولاياتهم فيقضون علي هذه الفتن بجيش يتألف من أهالي ولاياتهم.

الأمور القضائية:-

ما يمكن قوله في الأمور القضائية هو أن الشاه بنفسه كـان يحقـق فـي القضايا التي تخص الجزاءات والجرائم أو الجنايات خاصة التي تتعلـق بـأمن البلاد أو بذاته الملكية وكان يتولى في بعض الأحيان التحقيقات الابتدائية في مثل هذه القضايا. لكن التحقيق في المسائل القانونية فقد كان الشاه ينيب عنه قـضاة يقضون بالعدل والنصفة. وكان إجراء العدل محل اهتمام الملوك إلي حد أنهـم كانوا يعاقبون بشدة القضاة غير المنصفين بل في بعض الأحيان كانوا يقتلـونهم ويفرشون بجلودهم كراسي القضاء. ومع كل هذا فكان لا يحكم بـالموت علـي واحد بسبب ارتكاب جرم وحيد ولم يكن يحق لسيد أن يعامل عبده بقسوة بسبب ارتكابه ذنباً واحداً، والخلاصة أنهم كانوا يراعون في المتهم خدماتـه الـسابقة ويقيسون عليها جريمته ثم يحكمون عليه.

الـدين:-

كان الملوك الهخامنشيون موحدين أي كانوا يؤمنون بأن أهورامزدا(١) هو خالق السموات والأرض ويعدون قدرتهم وسلطانهم علي الأمم من تأييده، ولأن الله غير مرئي فقد كانوا يقومون بعبادته أمام النار وما هي إلا مجرد رمز له من رموزه.

وفي نقوش (أردشير) و (أُخُس) ذكر لأول مرة اسم الـشمس والزهـرة. ومع أن الإيرانيين القدامى كانوا يعبدون الشمس ويقدسونها لكن إيمان الملـوك الهخامنشيين بهذا الإله يعود إلي أواخر القرن الخامس قبل الميلاد وكان هـؤلاء

---

(١) تعني (الخلاّق العليم) (المعرب).

الملوك يقدسونها من عهد أردشير الثاني وكانوا يقسمون باسمها ويستمدونها في حروبهم. وكان الشعب الإيراني إذ ذاك يقدس أيضاً الماء والنار والهواء والنور والليل والنهار (نور الشمس والقمر) ويؤدون شعائر التضحية لها بحضور أحد المغان[1]. وكان المغان قبيلة من الماديين اختصوا بإجراء الشعائر الدينية وكانت عقائدهم تعود إلي زمن سحيق وربما إلي الفترة التي كان فيها الإيرانيون والهنود يشكلون أمة واحدة قبل هجرتهم من موطنهم الأصلي.

وكما ذكرنا فكان حضورهم واجباً حين تقام شعائر الأضحية والقربان وتلاوة الأناشيد الدينية. ويشاهد بون شاسع بين شعائر قبيلة البارسيين والمغان يتمثل في أن البارسيين كانوا يطلون أجساد موتاهم بالشمع ثم يودعونها الثري لكن المغان لم يكونوا يجيزون دفن الموتى إلا إذا مات أصحابها بعد أن عقرها كلب أو نهش منها طائر.

العمارة والآثار:-

أراد الملوك الهخامنشيون وقد ضموا بلاداً واسعة إلي حكمهم وأخضعوا شعوباً مختلفة أن يستفيدوا في تشييد عمارتهم وبناء قصورهم الملكية من مهارة كافة مهندسي المعمار المهرة والأساتذة الأكفاء من البلاد المفتوحة، ولهذا نشهد في آثارهم المعمارية في عهدهم طرزاً مختلفة للعمارة من مختلف الأمم. يقول (دارا) إن المعماريين البابليين والماديين والليديين والمصريين كانوا يعملون في بناء قصره وكان يؤتي بمواد البناء من مناطق نائية كالعاج من الهند وخشب

---

(١) هم أدني رجال الدين الزردشتي فكان الموابذة علي قمتهم ويليهم الهرابذة المسؤلون عن معابد النار ثم المغان (جمع مُغ) وهم الأقل وكانوا يختلطون بأفراد الشعب وجاء من (مغ) (مغوس) التي عربت مجوس ويقال إن اللاحقة اليونانية ous التي تفيد النسبة مضافة إلي (مع) فصارت Mogous. (المعرب).

السدر من لبنان وأحجار الأعمدة من اليونان وزينة الجدران من أيونيا (الحبشة). إذن فلا غرو من أن يشاهد في العمارة الإيرانية آثار سائر البلدان لكن الأمر الأهم هنا ما هو الإبداع الذي أسداه الإيرانيون في ذاك العهد في المعمار وما الجديد الذي أضافوه إلي هذا الفن ؟ يستوجب العلم بأن المعمار يتصف في سائر البلاد والشعوب بخاصية المحلية بمعني أن المعماريين كانوا يراعون المصالح الخاصة للمدن المختلفة وكانوا يأخذون في حسبانهم الاتجاهات التي تعكس فكر سكان ذاك المكان أو البلد الخاص، لكن ما إن سقطت البلاد المتسقة الأرجاء في أيدي الإيرانيين واحتسب جميع سكانها أتباعاً لإيران صار الملوك الهخامنشيون ينظرون إلي أن مراعاة الطابع المحلي أو انحصار معمار علي طرز خاص واحد ولابد من اقتباسه من بلده الذي تميز به صار أمراً لا مبرر له. ولهذا فإن المعمار الإيراني صار تركيباً مركباً من فنون المعمار المختلفة، وما أبدعه الإيرانيون في هذا الفن هو طراز تركيب هذه الفنون إحداها في الأخري حتى تبدو زاهية رائقة إلي الأنظار من ناحية وترسم عظمة العصر الأخميني من ناحية أخرى.

حشد الإيرانيون في عملهم هذا كافة ذوقهم وأحاسيسهم إلي حد أن المعمار الإيراني صار معماراً خاصاً بهم يتميز عن معمار كافة البلاد الأخرى. ذكر أحد المستشرقين العلماء: (المعمار الإيراني مركب ظهر بناء عن ميول الشاهنشاه لأن كافة أشكال المعمار الشرقي التي شاهدها الملك في آشور ومصر والمستعمرات اليونانية في آسيا واستلفتت نظره واهتمامه قد توحدت بإرادته بشكل مصطنع وبمراعاة ما يظهر العظمة الملكية فأوجد طرازاً خاصاً وفي النهاية يمكن القول إن هذا المعمار كان نتيجة أوامر الملوك المحبين للمعمار الأقوياء الذين وضعوا نصب أعينهم العظمة والجلال).

إذن فالمعمار الإيراني شاهد علي عظمة العصر الهخامنشى. ومع كل هذا فلا مناص من العلم بأن المعمار الأخميني هذا كان متابعاً لمعمار وطني غيروا مواد بنائه وزادوا عليه طرزاً أخري مع مراعاة التناسب والتنسيق، وقصر (كياكسار) ملك ماد في همدان نموذج هذا المعمار. وبني كورش الكبير بعد هزيمته الماديين قصراً في (بازارجاد) ظل قائماً حتى عهد الإسكندر ومع أن عمدانه لم تكن كثيرة لكن يمكن الحكم أن قصر اصطخر (تخت جمشيد) هو إكمال لهذا المعمار الوطني وليس بالقطع تقليداً للعمارة المصرية لأن الإيرانيين لم يكونوا دخلوا مصر في عهد كورش.

وعلي كثب من مشهد مرغاب يقع قبر كورش وله سقف بذي انحدارين، وهو عبارة عن حجرة صغيرة تقع فوق ستة طوابق حجرية وكل طابق يقع فوق طابق تحته بحيث تشكل الطوابق مراتب مختلفة. وأهم آثار العصر الهخامنشي هو (تخت جمشيد) في بازارجاد التي يسميها اليونانيون (برسبوليس) [١]. وعظمة هذا الأثر يظهر أيضاً مما بقي منه من أطلال. تدخل أكثر الملوك الهخامنشيون في تشييد قصور هذا الأثر العظيم وأبنيته لكن يمكن الحكم أن أهم قصور ذاك العهد هو ما بني في حكم دارا الكبير وخشايارشا. شيَّدت قصور دارا وخشايارشا علي فضاء مسطح بأعلى سلسلتين من الدرجات العظيمة، وأكثرها فناً وجلالا قصر خشايارشا الذي ينتصب علي مقربة منه تمثالا ثورين علي صورة إنسان، نقشت جدرانه بكل مهارة بصورة حراس القصر وأمراء الاصطبل ومن كانوا يردون حاملين الهدايا للملك.

ويتميز تخت جمشيد بأعمدة كثيرة وطرز بناء رؤوس الأعمدة من سمات

---

(١) بازارجاد في أغلب الآراء أصلها باساركد أو بارسكد بمعني پرس أو فارس أو بارس أوبازار وپوليس بمعني (كد) أو مدينة وتعني الكلمتان مدينة الفرس. (المعرب).

العمارة الإيرانية التي لا تشاهد في بناء غيره، هذه الرؤوس هي ثوران استند ظهر أحدهما إلي ظهر الآخر. ويحار نظر المشاهد في النقوش المزينة وتجميل البناء بالكاشاني أو الآجر المغطي بالمينا والبرنز والطلاء أو الفضة. كما يشاهد في باسارجاد نقوش بارزة نقشت علي قطعة من الحجر الجيري هذا النقش يصور رجلاً يلبس لباساً طويلاً وله أربعة أجنحة ولعله صورة ملاك.

وخلف قصور برسيوليس (تخت جمشيد) ثلاث دخمات أو مقابر وعلي بعد خمسة كيلومترات منها في الموضع الذي يسمي اليوم (نقش رستم) توجد أربعة مقابر أخري شقت في الجبل. ولا يوجد بداخل مقبرة دارا الواقعة في نقش رستم أي نوع من النقوش والآثار ولكن بخارج هذا القبر بني إيوان فوق صخرة يقوم علي بضعة أعمدة وصور نقش لمجلس به ثمانية وعشرون رجلاً في طابقين يحرسون عرش الملك(١)، وقد اتكأ الملك بيده الشمال علي قوس ومد يمناه نحو النار المقدسة.

وفي بعض مواضع من إيران أبنية تسمي معابد النار وتعد مسألة تاريخ بنائها أمراً ذا أهمية لأنه لا شك في أن بتلك المواضع كانت تقاد النار المقدسة وكان المعبد بشكل موقد له أربع زوايا وهذا يؤيد تاريخ بنائها، ففي نقش رستم في الناحية الشمالية من المقبرة يقع معبدا نار شقا بناؤهما في الصخور، وفي بازارجاد بالقرب من مقبرة كورش يشاهد أساس معبدي نار عبارة عن أحجار مكعبة أفرغ داخلها ويسمي هذا الأثر اليوم بتخت الطاووس. وتوجد آثار أبنية في (سروستان) و (فيروزآباد) لا ندري تاريخ إنشائها بدقة ويعدها أغلب المتخصصين من آثار ما بعد الهخامنشيين، لكن كان بشوش أبنية مهمة لا يزال اليوم أطلالها.

---

(١) هؤلاء النفر حرس عرش الملك يمثلون ولاة إيران الثمانية والعشرين.

النقوش المكتوبة والخط واللغة:-

أن الكتابات التي بقيت عن الملوك الهخامنشيين نقشت بلغات ثلاث هي الفارسية القديمة واللغة الأنزانية أو الشوشية[١]، والبابلية ولكن بعضاً منها فقط بالفارسية القديمة التي كان يتحدث بها رجال البلاط والأسرة المالكة. وكتبت هذه اللغات بالخط المسماري ويقال إن أساس هذا الخط وحروفه اقتبس من الخط البابلي ثم أجروا عليه البساطة والاختصار الشديدين وقد اختصرت مئات العلامات والأشكال المعمول بها في الخط البابلي إلي ست وثلاثين علامة وبضعة أشكال فقط في الخط المسماري الفارسي. وأهم الكتابات الهخامنشية النقشي المعروف بنقش (بيستون) الذي يشرح فيه دارا الكبير منجزاته وكتب باللغات الثلاث وقد أمر دارا بنقل هذه الكتابة الحجرية وترجمتها ونشرها في أطراف مملكته الواسعة.

---

(١) هي لغة العيلامين الذين كونوا دولتهم في جنوب غربي إيران وكانوا ساميين. (المعرب).

الفصل الثالث
الأشكانيون

الفصل الثالث
الأشكانيون

ملاحظـــــة:-

بعد موت الإسكندر قسمت المستعمرات التي فتحها علي قـواده فـاختير برديكاس والياً علي المستعمرات الآسيوية وخلف أريديه **Arrhidée** الإسـكندر في أوربا وولي الولايات قواد فصارت مصر لبطليموس وسورية ملك لومـدن **Laoméden** وماد ولاية لبيتن **Peithon** وقبادوقيا نصيب (أومين) وقيلقيا تحت حكم أنتيجون. وبقيت الهند في يد حكامها الوطنيين وآذربايجان بيد آذرباد الوالي الإيراني وسميت هذه المنطقة من إيران باسمه. ولم يكن للحكومـة المركزيـة وجود فكان الولاة يجنحون إلي الاسـتقلال وأراد برديكـاس أن يحفـظ علـي المستعمرات وحدتها لكن بطليموس هدفه في مصر ولقي مـصرعه علـي يـد جنوده. وهزم أنتيجون أومين في شوش وأراد أن يخلف الإسكندر لكن سلوقوس حال دون إرادته فلم ينجح أنتيجون علي الرغم من مـساعدة ابنـه دمتريـوس وانهزم فسقط الشطر الأعظم من المستعمرات التي فتحها الإسكندر في آسيا في يد سلوقوس وخلفائه.

ويبدأ تاريخ حكم السلوقيين عام ٣١٢ ق.م وكانت قصبة حكمهم هي بابل في البداية ثم صارت إنطاكية في الشام في النهاية وكان سلوقوس علي علاقات حسنة مع حكام الهند. وقبل أن نبدأ في تاريخ الأشكانيين يلزم الإشارة إلـي أن دولة تسمي اليونان وباختر أسست في شرق إيران وقد سك مؤسسها ديـودوتس الثاني عملته أولاً باسم آنتيوجوس الثاني الملك السلوقي لكنه جعل عملته باسمه

لما نجح في الاستقلال وامتدت حدود مملكته من الصغد إلي مرو.

وفي عهد آنتيوجوس الثاني الذي حكم فيما بين ٢٦١، ٢٤٢ ق.م استقلت ولاية (پارت). وقد ورد ذكر اسم (پارتين) أو (پرسف) في نقش بيستون كإحدى ولايات إيران ولا يحوم شك اليوم حول أصلها سكانها الآرى.

أشك الأول:-

هو أرشك أو أشك مؤسس الأسرة الأشكانية، تخلص من سيطرة السلوقيين عام (٢٥٠ ق.م) بمساعدة قبيلة أپارتي (پارت) البدوية وكانت شعبة من شعب دهة **Daha** ويروي أنه لقي مصرعه في الحرب التي دارت بينه وبين الباختريين (٢٤٨ ق.م) فأطلق الملوك الأشكانيون اسمه (أشك) علي كل واحد منهم تخليداً لذكراه.

تيرداد الأول:-

خلف أشك الأول أخوه تيرداد الأول. استولي علي ولاية هيركاني (جرجان) وعاصمتها زدراكارتا **Zadracarta** و (استراباد) وهزم حاكم اليونان وباختر الجيش السلوقي وأحكم استقلال بارت ولقب نفسه بالشاهنشاه أو ملك الملوك ويبدأ تاريخ البارتيين من تاريخ هذه الحادثة أي (٢٤٧ق.م).

وصل الملوك الأشكانيون بنسبهم إلي الأسرة الهخامنشية واعتبروا والد أشك وتيرداد وهو (فرياپيت) ابناً لأحد الملوك الهخامنشيين. سعي تيرداد حثيثاً إلي إحكام سيطرته وبني له قصراً قرب مدينة (أبيفرد) سماه (دارا) لكن عاصمته كانت مدينة (هكاتمپيل) أي المدينة ذات المائة بوابة التي لا تزال أطلالها قائمة في الجنوب الغربي للدامغان.

أردفان الأول:-

خلف هذا الملك عام ٢١٤ والده وحكم حتي عام ١٩٦. بدأ بفـتح مدينـة همدان لكنه لقي الهزيمة من بعد آنتيوجوس الثالث وسقطت عاصمته فـي يـد السلوقيين فتعقبوه حتي جرجان. وعقد آنتيوجوس معاهدة مع أردوان واعتـرف به حاكاً لإيران لأنه كان يدرك أن انتصاره ذاك لن يدوم كما أنه فشل في تحقيق أي تقدم في جرجان.

فرياپيت:-

حكم بعد موت أردفان ابنه فرياپيت ولم تجر في حكمه حادثة مهمة.

فرهاد الأول (فرآآت) ولد فرياپيت:

أدخل في عهده المارديين وهم سكان تپورستان (طبرستان ومازنـدران) تحت طاعته وحرضهم علي الحفاظ علي منافذ بحر الخزر.

مهرداد الأول:-

عين فرهاد أخاه مهرداد الأول خليفة له فحكم ٣٧ عاماً (١٧٤-١٣٦ق.م) وبلغت بارت في عهده ذروة اعتلائها وقوتها. ضم إليـه مـرو مـن سـيطرة الباختريين واستصفي ماد من يد أمرائها نصف المستقلين وبلغ بحـدوده حتـى عيلام وفارس وبابل وأوقع بالملك السلوقي دمتريوس الثاني في أسره.

فرهاد الثاني:-

وهو ابن مهرداد الأول ولكي يوقع بـأنتيوجوس الـسابع الـسلوقي فـي المنازعات الداخلية أطلق سراح دمتريوس الذي أسره مهرداد مـن قبـل لكـي

يطالب بحكمه، فأوقع الهزيمة الفادحة بأنتيوجوس وأصيب هذا الملك الــسلوقي بطعنة نافذة في ميدان القتال. وقاتل فرهاد بعد ذلــك بفتــرة جماعــات الــسك المتمركزين بأفغانستان وسيستان وانضم أثناء القتال فوج من الأسري اليونانيين إلي السك (السيث) أعدائه فانهزم فرهاد وقتل (١٢٥).

أردفان الثاني:-

وهو عم فرهاد قتل في حربه مع قبائل (يفتشي **Yvetchi**) ١٢٤. وفــي نفس تلك الأوقات سكن السيث أو السك منطقة بإيران عرفت فيما بعد باســمهم وهي (سيستان) – أي بلاد السيث – وبلغوا قدراً لا بأس به من القوة[1].

مهرداد الثاني أو أشك التاسع ولد أردفان الثاني:-

لما جلس علي عرش إيران ثار عليه اثنان يبتغيان السلطة لكن مهــرداد أخمد في العام الأول من حكمه ثورتيهما. ثم شغل هذا الملك الكبير نفسه بتوسيع دائرة حكمه فقام بحروب ناجحة في الحدود الشرقية لإيران وامتــدت حــدوده الشرقية حتى الفرات وأرمينية.

ملاحظــــة:-

ما يجدر ملاحظته أن علاقات إيران بالروم بدأت في عهد هذا الملــك، إذ أسس في آسيا الصغرى مهرداد السادس المعروف بملك (بونــت **Pont**) – ولا يجب أن نخلط بينه وبين مهرداد الملك الأشكاني لإيران – دولة قويــة وقطــع الطريق علي الروم وقاتلهم بشدة من ٩٠ حتي ٦٣ ق.م لكنه في النهاية انتحــر

---

(1) قبل سكناهم لهذه المنطقة من إيران كانت تسمى زرنج فسميت سكستان أي بلاد الــسك ثم تبدل اسمها إلى سجستان وسيستان.

بسبب عصيان ابنه له وانتهت الحرب بانتصار الرومان. ومن ناحية أخري استولي الروم عام ٦٤ ق.م علي آخر أملاك السلوقيين في سورية وعقدوا عزمهم علي الاستيلاء علي إيران والهند. ومن هنا تتضح قيمة خدمة الأشكانيين لإيران وعظمة هؤلاء الملوك لأنهم خلصوا إيران من أسر السلوقيين أولاً ثم أسسوا دولة متسعة الأطراف قوية لها ثانياً والأهم من ذلك أنهم وقفوا بكل استماتة وشجاعة في مواجهة الرومان المتصفين بالقوة القتالية والصفات الحربية المتميزة وأصحاب الجيوش المنظمة بل أن الأشكانيين ألحقوا بالروم الهزائم في أغلب المعارك ودخلوا بلادهم.

سندروك أو سنتروك:-

ظلت إيران بلا ملك فترة بعد مهرداد حتى دعا في ٧٧ ق.م قائد اسمه سنتروك وهو أخ لفرهاد الثاني أو ابن أشك (ديكايوس) نفسه حاكماً. وفي عهده استولي ملك أرمنية تيجران علي آذربايجان العاصمة وأخذ يشن إغاراته علي نواحي الفرات ودجلة.

فرهاد الثالث أو أشك الحادي عشر:-

خلف والده في ٦٩ وأثناء صراعات تيجران حاكم أرمنية مع پمپيه القائد الرومي الشهير أدخل نفسه بينهما واستفاد من حروبهما فاستعاد بين النهرين التي كان أبوه فقدها. وقد دس السم لهذا الملك ابناه مهرداد الثالث وأرد الأول في ٦٠ ق.م.

مهرداد الثالث:-

ولد فرهاد الثالث وقد حكم أربع سنوات وقد أدت قسوته إلي خلعه من الحكم بيد الأعيان والأشراف، وقتله أخوه أرد بعد أن أستولي علي بابل التي

جعل منها مهرداد حصنه الحصين.

أرُد الأول المعروف بأشك الثالث عشر:-

جلس علي العرش في ٥٥ ق.م وهو أحد الملوك الأشكانيين الكبار. أهم وقائع حكمه حربه الشهيرة لحران في بين النهرين عام ٥٣ ق.م ومفادها أن أمير أسرون **Osrhoene** وهو آبجار الرومي شجع القائد الروماني كراسوس وهو أحد الرؤساء الثلاثة لدولة الروم وقائد سورية علي مقاتلة أرد فحذر الملك الأشكاني كراسوس من عواقب الحرب الوخيمة لكن القائد الروماني أجاب بدافع الكبر والغرور أنه لا مناص من الحرب فدخل أرد أرمنية وأرسل قائده المشهور سورينا **Suréna** لمواجهة كراسوس في بين النهرين وفي الحرب التي دارت رحاها في سهول بين النهرين اتخذ الفرسان الأشكانيون ذوو المهارة الفائقة في تصويب السهام أسلوب الكر والفر وسحبوا الرومان إلي أماكن قاحلة وأهلكوهم بوابل من سهامهم وقتل پوبليوس ابن كفء لكراسوس ولما رفعت رأسه علي رمح زاد الفرسان الأشكانيون من جرأتهم فأنزلوا بالرومان ضربات ماحقة. ويروي أن كراسوس قتل أثناء اضطرابات حدثت وقت مفاوضات السلام وفي النهاية قتل أكثر من عشرين ألفاً من الروم واقتيد عشرة آلاف أسير إلي مرو وأرسلت رأس كراسوس المفصولة إلي أرد في (أرتاكسانا) بأرمنية. كانت هذه الهزيمة كارثة علي الرومان ولها ردود فعل قوية وأدرك الروم أن قتال الدولة الأشكانية أمر ليس بالهين.

يروي أن أرد جعل من طيسفون (كتزيفون) دار ملكه وجعل نصره علي الروم يفكر في مهاجمة سورية لكن أوزاك حاكم بارت لقي مصرعه في هجومه علي أنطاكية. وبعد تسعة أعوام عوض (پاكر) ابن أرد هذه الهزيمة. إلا أنه بعد أن دخل باكر القدس في ٣٨ق.م جعل آنتيجون بن أريستوبول حاكماً لهذه المدينة

فانزم هذا الحاكم من فنتيديوس الرومي وقتل في سورية الشمالية فتأثر أرد لهذه الحادثة وحول في عام (٣٧) سلطانه إلي فرهاد الرابع وهو ابن آخر له.

فرهاد الرابع أو أشك الرابع عشر:

أقدم علي قتل أخوته حتى لا يثور أحد عليه ولما وَبّخه أبوه علي فعلتــه الشنعاء أقدم علي خنقه هو الآخر بوسادته وفي عهده اتجه آنطوان القائد الرومي إلي نواحي الفرات للانتقام لهزيمة كراسوس. ولما رأي من الإيرانيين مقاومــة في هذه النواحي عجل إلي العاصمة آذربايجان (التي تسمي الآن تخت سليمان) لكنه لقي هزيمة فادحة في هذه الناحية فأضطر إلي الانسحاب وبلغ أرمنية بعــد أن أصيب بخسائر كثيرة ومني بمصائب جسيمة، ودخلت أرمنية تحت ســيطرة إيران من عهد حكم هذا الملك نتيجة لصراعات إيران والرومان.

ولما تولي أوغست **Auguste** (أكتافيوس) حكم الرومــان أرســل لبنــاء علاقات حسنة بين الدولتين جارية إيطالية اسمها (موزا) هدية إلي فرهاد فأرسل الملك الأشكاني تحت تأثير زوجته هذه أولاده الأربعة إلي الرومان بهــدف أن تخلي العرش والتاج إلي ابنها فرهاد الخامس ولتحقيق هذا القصد دست السم إلي زوجها فرهاد الملك.

فرهاد الخامس:-

وهو ابن فرهاد الرابع من زوجته الجارية الإيطارية وقد جلس نحو اثنين قبل الميلاد بمساعدة أمه وتقاسم الاثنان السلطة ولكن حكمهما لم يطل عن عامين وجلس علي العرش مغتصب اسمه أرد الثاني.

أرد الثاني:-

حكم أربع سنوات وقتل أثناء رحلة صيد عام (٦م).

فانان الأول:-

وهو ابن فرهاد الرابع الأكبر ويسميه الرومان فنونيس[1] وقد تربي في كنفهم ولما كان متصفاً بالأخلاق الرومية ولا يتحلى بأخلاق الشرق خلع من الحكم وأقيم أردفان الثالث ملكاً مكانه.

أردفان الثالث:-

وفي عهده ثار خصيماً له بتحريض الروم تيرداد ودخل طيسفون إلا أن أردفان نجح في دفعه في النهاية. وقصد أردفان السيطرة علي أرمنية التي كان فرهاد الخامس قد تخلي عنها للروم لكنه ووجه برفض شديد فلم يمض عزمه ومات بعد حكم ثلاثين عاماً.

فاردان:-

لم يكن حاضراً موت أبيه فانتهز جودرز أخوه فرصة غيبته واستولي علي العاصمة لكن لم يطل به الأمر حتى مني بالهزيمة وتبوأ فاردان عرش أبيه ولما اكتشف جودرز مؤامرة كانت تحاك ضد أخيه الملك وحذره منها عفا الملك عن سابق جرمه مقابل هذا التحذير، لكن فاردان لقي مصرعه في عام (٤٥م).

---

(١) ولد المسيح عليه السلام في عهد أوغست وولاته بداية التقويم الميلادي وقد عاهد هذا الإمبراطور فرهاد الرابع والخامس وأرد الأول وفانان ويمكن القول أن ميلاد المسيح – حدث في آخر حكم فرهاد الخامس.

جـــــــــودرز:-

خلف أخاه وكان ملكاً فظاً قاسيا هزم مهرداد حفيد فرهاد الرابـــع وصـــلم أذنيه حتى لا يصلح للحكم.

فـــــــانان الثاني:-

وكان والي آذربايجان أولاً وخلف جودرز بعد موته في (٥١م.) ولم يطل حكمه عن بضعة أشهر.

بـــــــلاش الأول:-

حكم من ٥١ حتى ٧٥م واشتعلت في عهده الحرب بين إيـــران والـــروم. ولّي بلاش تيرداد أرمنية واستولي جوربولون علي أرتاكسا من قبـــل نيـــرون الإمبراطور الروماني وأحدث بها خراباً كبيراً وكـــان بـــلاش منـــشغلاً إذ ذاك بمشاكله الداخلية وبإخماد ثورة أهالي جرجان فلما أتم هذه المهام أســـرع إلـــي أرمنية وبعد سلسلة من الحروب تقرر أن يتولي أمورها تيرداد وبهـــذا النحـــو امتدت الهيمنة الإيرانية علي ما بين أرمنية ونهر السند. وبعد بلاش جلس علي العرش ملوك ثلاثة هم بلاش وباكر الثالث وأردفان الرابع ويظن أن كل واحـــد منهم حكم باستقلال جزءاً من إيران.

خســــــرو:-

أدت الحروب الداخلية بين الملوك الأشـــكانيين بتراجـــان الإمبراطـــور الرومي إلي التفكير في مهاجمة إيران وأراد خسرو الـــذي ولـــي إيـــران منـــذ (١٠٧م.) أن يصرف الإمبراطور عن همته فأرسل إليه هداياه ومقترحات لم تلق منه قبولاً. وعليه فقد عبر تراجان دجلة واستولي علي سلوقية وبعثه انتـــصاره

هذا علي مواصلة تقدمه بهدف أن يمد حدوده إلي الهند كما فعل الإسكندر من قبل، فألّب خسرو وكان قد آثر الفرار أمام تراجان سكان شوش عليه فأجبره الثوار علي التقهقر ولم يفده إقراره ابن خسرو حاكماً رسمياً لإيران في طيسفون. ومات في (١١٧م). تراجان في قيلقية وأدرك خليفته (آدرين) أن الاستيلاء علي إيران حتي مع وهن الدولة الأشكانية ليس سهلاً لهذا صالح خسرو في ١٢٣ ورد عليه ما فتحه من ولايات إيران ومات خسرو بعد ذلك بسبع سنوات.

بلاش الثاني:-

وكان أخا خسرو الأكبر حكم ثماني عشرة سنة.

بلاش الثالث:-

حكم ما بين ١٤٨ و١٩٤ وأجلس أخاه باكر علي عرش أرمنية بدل واليها التابع للروم لكنه مني بالهزيمة من الروم وصارت سلوقية طعمة للنيران ودمر قصر طيسفون وسقط الشطر الأعظم غربي بين النهرين في يد الروم.

بلاش الرابع بن بلاش الثالث:-

وفي عهده استؤنفت الحروب بين إيران والروم وجعل سفير السابع إمبراطور الروم من نصيبين مركزاً كبيراً لمهماته، ودخل الجيش الرومي طيسفون وأوسعها نهباً وسلباً وقاومته مدينة الحضر مقاومة شديدة وأحرقت آلاته الحربية فاضطر إمبراطور الروم إلي صرف نظره عن الاستيلاء عليها، وتوفي بلاش الرابع في ١٩٧م.

بلاش الخامس وأردفان الخامس:-

احتدم الصراع بعد بلاش الرابع بين ولديه بلاش الخامس وأردفان وفـــي النهاية توزعت بلاد إيران عليها وتدل هذه الحوادث بجلاء علي ضعف الأسرة الأشكانية. في تلك الأثناء تقدم كاراكالاّ إلي حدود إيران بجيش جَرّار علي أنـــه قادم لخطبة ابنة أردفان فخرج الملك الأشكاني وهو لا يشك في صدق إمبراطور الروم إلي خيمته ليلقاه ومعه جند قليلون. وعلي حين بغته انقض الــروم عليـــه وأهلكوا من جنده كثيرين ونجا أردفان بشق النفس من تلك المهلكة وفكــر فـــي الانتقام إلا أن وافته أخبار وفاة كاركالا وتولي ماكرينوس وجــنح الإمبراطـــور الجديد إلي مصالحة أردفان لكنه لم يقبل اقتراحات أردفان فبدأت الحرب ثانيـــة وألحق الملك الإيراني هزيمة نكراء بالروم تحت أسوار نصيبين فلم يجد الـــروم مخرجاً غير التقهقر وقبول الصلح بشروط قاسية. ومع كل هذه الأحوال ولـــت شمس مجد الأشكانيين إلي المغيب وسقطت أسرتهم في عهد أردفان[1]. وأســـس أردشير بن بابك كما سيلي في تاريخه أسرة جديدة باسم الأسرة الساسانية.

---

(١) يعد البعض هذا الملك إردوان الرابع ويذكرون أنه هزم أخاه في ٢١٦ وقضى عليه.

النظم الأشكانية

الإدارة – الدين – العمارة

كما قلنا خلصت الأسرة الأشكانية إيران من أُسر السلوقيين من ناحية وقاتلت الروم سنوات طويلة من ناحية أخري وحالت دون تقدمهم في الشرق وفتحوا الطريق للملوك الساسانيين ولهذا تعد الأسرة الأشكانية إحدى الأسرة الإيرانية القوية، ومع الاقتدار الكبير للملوك الأشكانيين في ممتلكاتهم لابد من الأخذ في الحسبان موضوعين أحدهما أن ولاة بعض الولايات الإيرانية كان شبه مستقلين أي أنهم كانوا أحراراً تقريباً في إدارتهم أمورهم الداخلية وعليهم فقط حضور مجالس انتخابات الملوك الجدد ومساعدتهم أثناء حروبهم أعداءهم. والثاني أن الملوك الأشكانيين كانوا يعقدون مجلسين للشورى يتألفان من الأمراء والأشراف من الدرجة الأولي ورجال الدين ولهذا لا يمكن القطع خاصة وأن مجلس الشرفاء بسبب ماله من نفوذ في الأمور الحكومية بأن حكم الملوك الأشكانيين كان مطلقاً أما دين هؤلاء الناس فكان خليطاً من المذهب الآري القديم والعقيدة الزردشتية وعبادة الشمس[1] وبعض الآلهة اليونانية. ولهذا السبب لم

---

(1) عبادة الشمس: كما أشرنا في تاريخ الهخامنشيين أن اسم الشمس ذكر لأول مرة في نقوش أردشير الثاني المسمارية لكن عبادتها كانت رائجة وقت أن كان آريو إيران يعيشون مع آريبى الهند قبل افتراقهم ولا نعرف طقوس عبادة الشمس في عهد الأشكانيين ولكن من المفيد ذكر شئ عن هذه العبادة في البلاد الغربية فقد نشأت في آسيا الصغرى وبين النهرين وعدت (كلدة) في عهد الأشكانيين المركز المقدس لعبادة الشمس وبنى معبد لهم في بابل وقد أقام عدد من المجوس في بابل فترات قبل هجرتهم إلى آسيا الصغرى خاصة في قبادوقيا وبنت وبسبب نفوذهم الديني اختلطت العقائد الآرية بالعقائد السامية (عبادة النجوم الكلدانية). وأساس عبادة الشمس عبارة عن

يكن مذهب الأشكانيين مبرأً من التلوث بغيره على النقيض من اعتقاد الملـــوك الهخامنشيين، لكن علي كل حال كان الملوك الأشكانيون يحترمون مذاهب سائر الناس ولم يكونوا ينظرون بعين البغض والنقمة إلـــي نجــاح ســائر المــذاهب الأخرى. وحسب قرائن معلومة فقد قام واحد من الملــوك الأشــكانيين يعتقــد البعض أنه بلاش الأول ويراه آخرون بلاش الثالث بجمع الأجــزاء المتفرقــة للأبستاق ولكننا لا ندرس مبلغ التوفيق الذي أصابه في هذه المهمة. تولي المغان إجراء الشعائر الدينية علي عهد الأشكانيين وكان يروج لعبادة مزد (مزديسنا) أو

اختلاط هاتين العقيدتين المختلفتين والذي زاد عليه اليونانيون فـــي نقوشـــهم علامـــات جديدة من أجل تجسيمه. ويؤدى المؤمنون بهذه العقيدة شعائر عبادتهم فـــي المغـــارات ويبنون معابدهم بالقرب من عيون الماء الساري يوجه خاص. وبداخل المعبد وبنهايتـــه كان يشاهد نقش حجري بارز للشمس وهى منشغلة بقتل ثور ينبت من جـــسده أنـــواع النبات. وكان بهذا المعتقد درجات ولكي يدخل واحد درجة غير درجته كان عليـــه أداء شعائر خاصة فكان يعقد مثلاً عيناه وتقيد يداه بأمعاء دجاجة ويدفعونه إلى تخطى حفرة تمتلئ بالماء فإذا نجح كان يفك عنه قيوده. وكان لكل درجة اسم خاص كدرجة الغراب والأسد وغيرهما وكان المؤمنون بهذا المذهب يحضر كل منهم بنقاب يدل على درجته الدينية المحافل الدينية الخاصة بهم. وكان دليل نجاح عبادة الشمس هو جانب الأخـــلاق العملية لها الذي كان يعد المؤمن للجهاد من أجل الحياة كما أن المـــؤمنين بهـــا كـــانوا يعتقدون بالبقاء الأبدي وخلود أرواحهم جزاء أعمالها الطيبة جزاء الخيـــر. انتـــشرت عبادة الشمس على أثر هجوم بمبيه ((Pompée على الشرق في أوربا وظلـــت حتـــى عهد قنسطنطين أكبر منافس للنصرانية. أراد جوليان المعروف بالمرتـــدّ (٣٦١-٣) أن يجعلها الدين الرسمي لكنه فشل. على أي حال فعبادة الـــشمس كانـــت شـــكلاً للـــدين العسكري وقد اجتهد الأباطرة فـــي نـــشره فمـــثلاً فـــي آخـــر القـــرن الثـــاني كـــان كومود Commode يحضر مجالسهم الـــسرية ودخـــل مـــذهبهم وفـــى (٣٠٧) أقـــام ديوكلسيان وجاليرى وليسينيوس لها معابد وكان جوليان السابق الذكر يـــؤدى شـــعائر عبادتها في قصره في القسطنطينية.

الزردشتية في إقليم فارس حكامها أنصاف المستقلين.

أما العمارة في العهد الأشكاني فليست جديرة بالاهتمام إذا قيست بالعمارة الهخامنشية ومن الآثار المنسوبة إلي ذاك العهد أطلال قصر هاترا (الحضر) وكانت تقع علي شاطئ دجلة وسط فناء مُحاط وبها قلعتان حصينتان يحيطهما سور عظيم وكما مر فشل تراجان وسيفير في فتحهما. وهذا البناء في الأساس من آثار المذاق الإيراني لكن الأثر الرومي فيتمثل في طراز الأسقف والتجصيص المعماري. ويعلو القصر قبة نقش عليها صور الآلهة المزينة بالياقوت المطلي أرضيته بالفضة، كما زين الطاق المقعر الداخلي والجدران المحيطة به بالأكسية المزركشة وكان تمثال لرأس إنسان يشاهد في السقف والعمدان. وبوجه عام كان يحار النظر في جمال قصر الحضر وكان سقفه يرمز إلي السماء اللازوردية والنجوم.

ومن آثار هذا العهد مقبرة (فركا) حيث كان الأشكانيون يدفنون موتاهم. يوجد بهذه المقبرة تابوت شيد بأحجار متناسقة قسمت واجهاتها إليه طبقات معينة ونقش علي كل طبقة صورة إنسان وفي كنجاور اكتشفت أطلال معبد من عهد الأشكانيين وكان في همدان معبد يسمي (معبد ناهيد) أو معبد الزهرة كان الرومان يقدمون فيه قرابينهم.

وفيما يعود إلي الآثار الحجرية لهذا العهد أشرنا فيما سبق إلي التابوت الحجري في مقبرة (فركا). وقد خلف جودرز في ذكري انتصاره وتغلبه علي مهرداد وكاسبوس نقشاً حجرياً في (بيستون) ويري في هذا النقش صورة محفل يمتطي هذا الملك فيه جواده ويمسك رمحه، كما يشاهد بنفس ذاك الموضع نقش مكتوب باليونانية.

ومن العملات المسكوكة الأشكانية ما يمكن عده أفضل فنون النقش لهذا

العهد. صنعت هذه المسكوكات بشكل الدرخمة (الدرهم) السورية ويري عليها رأس الملك في وجه ونقوش مختلفة علي الوجه الآخر لها. وفي عهد أول الملوك الأشكانيين نقشت صورة أشك الأول مؤسس تلك الأسرة وقد ارتدي بَزّته العسكرية وأمسك بقوسه ثم صورة مهرداد الأول الذي كان يعبد كأنه إله. كذلك يشاهد صورة فيل ورأس بقرة أو حصان علي ظهر بعض العملات. كان الأشكانيون متسامحين مع الشعوب الأخرى في لغاتهم وآدابهم وتقاليدهم بل كانوا يعرفون ويتكلمون باليونانية خاصة رجال البلاط والأمراء منهم وكانوا يعرضون في بلاطهم المسرحيات اليونانية. لكن لغتهم الأصلية آرية ولا تفترق كثيراً عن اللغة البهلوية التي كانت متداولة في العهد الساسانى. ومع أن الخط المسماري في أيام حكم هذه الأسرة لم يمت أو يزل ولكن المعمول به في تلك الآونة كان الخط السرياني الذي كان يكتب به الكلمات البهلوية. ويري علي بعض العملات الخط اليوناني، وكما ذكرنا فإن نقش بيستون الباقي عن جودرز مكتوب بالخط اليوناني.

وفي عهد الأشكانيين عمرت إيران وازدهرت التجارة بها ازدهاراً عظيماً إذ كانت بضائع التجارة تحمل من الغرب أي سورية وفينيقية إلي الهند والصين عن طريق إيران وكانت منطقة بالمير (تدمر) بسورية في الأغلب هي مكان تصدير البضاعة التي تسافر إلي إيران ومنها إلي سائر بلاد المشرق.

الفصل الرابع
الساسانيون

الفصل الرابع

الساسانيون

تشكلت دولة نصف مستقلة بعد ضعف الدولة السلوقية في الولايـــة التـــي تسمي اليوم بفارس وكانت فيما يبدو خاضعة للملوك الأشكانيين. وكان حكـــام هذه الدولة ضمن مهامهم تولي الأمور الدينية فيشاهد علي العملة الباقية عنهم صورة ملك الدولة وهو يقف أمام النار المقدسة ويمسك بقوسه وعلي جانب من تلك النار يرفرف العلم الكافياني. والخط المستخدم في تلك العملـــة هـــو الخـــط الآرامي وباللغة البهلوية الأشكانية. وكما يتضح من هذه العملة. فقد كان لقـــب بعض هؤلاء الحكام (ملكا) أي الملك ولقب بعضهم الآخـــر نفـــسه (فرانكـــرا) بمعني (موقد النار) غير أن المؤرخين الشرقيين لقبوهم بالهرابذة، وكـــل هـــذا يبين بجلاء أنهم تولوا المناصب الدينية وبقي المذهب الزردشتي الهخامنـــشي محفوظاً بين هؤلاء الحكام.

أردشير بن بابك (بابكان):-

أردشير بابكان[1] هوثوسس الأسرة الساسانية ومحيي الدين الزردشـــتي الداعي إلي عبادة (أهورامزد) وقد روي شأنه شأن عظماء الحكام حكايـــات وأساطير كثيرة ولكن بناء علي النقوش التي خلفها هذا الحاكم وابنه يتضح أن أردشير هو ابن بابك، وإلي هذا الرأي ذهب المؤرخـــون الإيرانيـــون وعـــدوا

---

(١) (بابكان) مكونة من (بابك) اسم والد هذا الملك ثم (ان) لاحقة نسبة البنوة وتعنـــي الكلمـــة (ابن بابك). (المعرب)

(ساسان) جداً لأردشير ولهذا سميت هذه الأسرة بالـساسانية أمـا المؤرخـون البيزنطيون المعاصرون لأردشير فقد عدوه من سكان فارس ويمكن التيقن تقريباً مما توضحه الروايات المختلفة أن أردشير بين بابك كان الحاكم الوارث لولايات فارس أو قسمٍ منها[1].

كان يختمر برأس أردشير خيالات عالية وقصد أن يوحـد بـلاد إيـران ويؤسس حكومة قوية كالهخامنشيين. ولتحقيق هدفه بدأ بالهجوم علي كرمـان وضمها إلي ملكه بعد أن هزم حاكمها (بلاش)، ثم توجه إلي أصفهان وشوش وعمان وولايات أخري فأدخلها واحدة بعد الأخرى في دائرة ملكه وقوته [2].

ولما شاهد أردفان ما حدث أعد جيشاً وهاجم به فارس ولكن هذه الحرب وحرباً أخري جرت بينهما لم تسفر عن نتيجة حاسمة. وفي الحرب الثالثة التي تأهب لها أردفان بجيش عظيم ودارت رحاها في صحراء هرمزدجان (بالقرب من شوش) لقي أردوان الهزيمة (٢٢٤). وقد صيِّر فتح هرمزدجان أردشـير ملكاً علي شرقي إيران ثم وقعت بيده طيسفون بعد ذلك بعـامين ولـم تفـض

(١) هناك رواية أخرى عن هذه الأسرة ومفادها أن بابك كان ابـن ساسـان وهـو الموبـد المتولي لمعبد عبادة (الزهرة) في فارس وأم بابك كانت بنت حاكم الأسرة البازرنجية واسـمها (رام بهشت) وقد ولى بابك في عهد حكم أبيه مدينة (خير) الصغيرة وكانت تقع بين سروستان ونيريز كما تولى ابنه أيضاً أردشير في عهد حكم أبيه دارابجرد وثار بابك على جوزهر حـاكم فارس وبعد مقتله طالب أردفان الخامس بأن يعترف بحكم ابنه الأكبر شـابور لفـارس لكـن أردفان قابله بالرفض. وبعد بابك تولى شابور خلافاً لرغبة أردفان حكم هذه الولاية وقد تسبب موته على أثر خراب سرداب قصره في أن يكون أردشير الحاكم المطلق لتلك الولاية.

(2) يروى أن أردشير بعد فتحه كرمان قد جعلها تحت حكم ابن له اسمه أردشير أيضاً ولهذا فقد سميت عاصمة ذاك البلد (به أردشير) التي تحرك اسمها إلى (بردسير) بعد الإسلام.

تحركات الحاكم الأشكاني والي أرمنية ضد أردشير إلي شئ ولم يستطع إلا أن يحافظ علي استقلاله.

ولما استصفي أردشير بلاد إيران فكر في قتال البيزنطيين ويستفاد من الرسالة التي وجهها إلي الكساندر سيفير إمبراطور الروم أن أردشير كان يستهجن تدخل الروم في آسيا ويعتبر أملاكهم فيها من أملاكه هو الموروثة، ولم يطل الوقت حتى عبر أردشير دجلة واستولي علي ولاية بين النهرين الرومانية. فخفّ الكساندر لمواجهته وقسم جيشه ثلاثة أقسام: قسم أمره بمهاجمة ولاية ماد من أرمنية بعون خسرو حاكمها، وقسم ثان أرسل به إلي فارس من الجنوب وثالث توسطّ القسمين بقيادة هذا الإمبراطور نفسه. وفشل جيش أرمنية وفارس وانهزم تماماً الجيش الذي يقوده الإمبراطور. ومع أن هذا النصر كان من نصيب الإيرانيين إلا أنه لأسباب مجهولة حتى اليوم لم تتحقق الأهداف التي كان ينشدها أردشير غير أنه فتح في (٢٣٧) نصيبين وحران.

بعد هذه الأحداث اتجه أردشير إلي أرمنية وقتل حاكمها بحيلة محبوكة وجعلها جزءاً من إيران ولجأ أغلب أعيان أرمنية إلي حماية الروم.

كان أردشير ملكاً كبيراً وعاقلاً ونهض بأعمال مهمة ولما كان يعتقد أن العرش ومعبد النار لا يفترقان لهذا زاد من صلاحيات رجال الدين الزردشتي وعمر معابد النار وينسب إليه تجديد مذهب زردشت وجمع الأبستاق وترجمته وتفسيره. احتفظ أردشير كسائر الملوك الهخامنشيين بالقوات العسكرية تحت نفوذه وكان يختار بنفسه قواده ورؤساء جيشه كما كان يدفع رواتب الجنود بانتظام وكان لديه علي الدوام جيش متأهب للقتال. ويتضح من جملة الأقوال المنسوبة إلي أردشير أن هذا الملك لم يكن ذا يد طولي في قيادة الجيوش وحسّب بل كان من الملوك العظام المستنيرين في إدارة الملك وسياسة الحكم.

وقد بني في عهد حكمه مدناً كبيرة وظل بعض مدن إيران معروفة باسمه حتى وقت الغزو العربي.

شابور الأول:-

يمكن الظن من روايات بعض المؤرخين الشرقيين والعملات المسكوكة في أواخر حكم أردشير أنه في أواخر عمره قد أشرك ابنه شابور معه في الحكم. علي أي حال فقد وافت أردشير عام ٢٤١م المنية وغدا شابور ملكاً. وفي بداية حكمه أرادت أرمنية الحصول علي استقلالها إلا أن شابور تمكن بسهولة من إخماد ثورتها بشكل لم تتجرأ أرمنية ثانية أن ترفع علم الثورة طوال فترة حكمه. كذلك استولي بالحيلة علي المدنية المشهورة (حران) ورام مقارعة بيزنطة ومتابعة خطة أبيه وتحقيقها. عبر الجيش الإيراني في البداية بين النهرين واستولي علي نصيبين وهاجم الشام وسيطر علي مدينة أنطاكية وكانت العاصمة الشرقية للرومان. بيد أن الجيش الإيراني لقي الهزيمة في السنة الثانية لحكم شابور من جرديان الثالث **Gordian** واستعادت بيزنطة أنطاكية ونصيبين، ومع هذا فلم يجد فيليب المشهور بالعربي **L'arabe Philippe** بداً من مصالحة شابور والاعتراف رسمياً بسلطانه علي أرمنية وبين النهرين. وأهم حادثة في عهد شابور هزيمته الساحقة للرومان وأسره فاليرين الإمبراطور البيزنطي وشرح ذلك أن شابور استعاد حكمه في ٢٥٨ لنصيبين وحران وأنطاكية فتمكن فاليرين أولاً من استصفاء أنطاكية لكنه ارتهن في بين النهرين بالشدائد ولقي الهزيمة ووقع أسيراً وأجبر الأسري الروم علي التوقف في جندي شابور (بين شوشتر وديزفول) ويقال إن الشاه الإيراني استعان بهم في بناء سد (شادرفان) أو (بند قيصر) المعروف في مقابل نهر كارون. أما الرواية المتعلقة بالتصرف المهين من طرف شابور نحو فاليرين

والتي يرويها بعض المؤرخين فهي محض خرافة.

ويتضح أن شابور لم يكن يقصد الاستيلاء الدائم علي كافة الولايات المفتوحة بل كان يريد فقط أن يثبت للرومان قدرته وينتقم منهم. ومع هذا كله فقد اختار شابور (سيرياد) إمبراطوراً للروم. وأثناء حرب شابور للرومان حدث أنه رفض هدايا أذينة أمير تدمر (باليمر) وهي مدينة بسورية ورد عليه بعنف وهدده. وصارت هذه المعاملة الفظة سبباً في أن يهاجم أذينة بين النهرين في عودة شابور. ويذكر في تاريخ كرجستان أن أحد أبناء شابور ويسمي مهران أسس أسرة باسم (خسروان) في هذه الولاية واعتنقت المسيحية.

ومن الأحداث المهمة لعهد شابور دعوي ماني بمجيئه بمذهب جديد والدعوة إليه علناً في ٢٤٢ عام تتويج شابور. ويبدو أنه شابور اعتنق مذهبه في البداية أو كان علي الأقل يميل إليه لكن لم يطل به الأمر حتى فضل العودة إلي دين أجداده وعده الأصدق من مذهب ماني فاضطر ماني إلي ترك إيران إلي كشمير ومنها هاجر إلي التركستان والصين.

يعد شابور الأول من الحكام الساسانيين العظام، وفضلاً عن أنه برهن علي قوة إيران للرومان فقد اتخذ خطوات مؤثرة في تعمير بلاده وينسب إليه بناء سد شادرفان والجسر العظيم لدزفول.

هرمز الأول:-

فارق شابور الحياة في ٢٧٢ الحياة وخلفه ابنه هرمز الأول وأهم وقائع حكمه عودة ماني إلي إيران، فأظهر له هرمز كامل رأفته ولكن ليس معلوماً دخوله مذهبه ويذكر أن حكم هذا الملك كان سنة واحدة وعشرة أيام.

بهرام الأول:-

قيل إن بهرام الأول كان ابن هرمز الأول وقيل بل كان أخاه وظهر اسمه منقوشاً علي عملات (فرهران) ومدة حكمه ثلاث أو أربع سنوات. يصفه المؤرخون الشرقيون بالحلم والرحمة ولكن من الثابت أنه هو الذي قتل ماني بعد أن احتال ودبر تحريضه علي تركه قصره حيث كان يلتجئ ولا نعلم هل سلخ ماني حياً أم أنه سلخ بعد قتله. وبعد مقتل ماني بدأ تتبع معتنقي دعوته وإلحاق الإيذاء والتعذيب بهم.

من أحداث عهد بهرام أن زنوبيا **Zénobie** ملكة تدمر وزوجة أذينة طلبت مساعدة بهرام في حربها مع إمبراطور الروم (أورلين) ومع أن مساعدة إيران لم تفد الملكة التي وقعت أسيرة لكنها سببت تكدر العلاقة بين إيران والرومان وأراد بهرام بإرساله الهدايا إلي الإمبراطور أن يخمد نار غضبه وقبل أورلين هداياه أولاً لكنه بعد قليل قصد بجيش جرار من مقدونيا إلي إيران لكنه لم يصل حدودها حتي وافاه المنون في ربيع عام ٢٧٥م كما أن بهرام بدوره وافاه أجله في نفس هذا العام.

بهرام الثاني:-

بهرام الثاني هو ابن بهرام الأول وخليفته. أناب في أول حكمه أمور ملكه لرجال غير أكفاء وانشغل هو بحب التمتع والصيد لكنه غير مسلكه بعد اجتماع رئيس الموابذة والأشراف علي وجوب خلعه. أدخل بهرام السيث طاعته ثم قاتل الأفغان وحينما كان منصرفاً إلي حروبه الداخلية تمكن (كاروس) الإمبراطور البيزنطي بسهولة من فتح بين النهرين التي كانت جزءاً من إيران من عهد شابور بل أن المؤرخين الرومان يذكرون أنه أخذ بسهولة سلوقية وطيسفون وقصد متابعة انتصاراته لكن جنوده لم ينصاعوا لقصده ومات كاروس في هاتيك الأوقات في ظروف غامضة لم تتكشف حتي يومنا هذا

ويذكر البعض أنه مات بسبب صاعقة ويقول آخرون إنه مات قتــيلاً (٢٨٤م). وفي عام ٢٨٦ أمدَّ (ديوكلسيان) إمبراطور الرومان تيرداد ولد خسرو حــاكم أرمنية السابق – فأدخل أرمنية تحت حكمه أي تحت حماية الروم ومات بهرام موت الفجاءة عام ٢٩٢[1].

بهرام الثالث:-

وهو ابن بهرام الثاني وكان ملكاً منساقاً لشهواته لكنه حسن المعاملة ولــم يحكم غير أربعة شهور وفي أيامه عاش تيرداد حاكم أرمنية تحت حماية الروم ويسمي بهرام الثالث (ملك السيث أو السك) بــسبب تــولي حكــم سجــستان (سيستان) التي فتحها أبوه.

نـــــــرسى:-

من النقش الذي خلفه هذا الشاه يتضح أنه ابن شابور وحفيد أردشير بــن بابك وقد انحاز إلي حكمه أعيان إيران وسرعان أن تداركوا تمرد أخيه هرمز عليه واختلفوا حول تاريخ جلوسه علي العرش ولعله وقع بــين عــامي ٢٨٢ و٢٩٣. في عهده طفق تيرداد حاكم أرمنية والمحمي من الروم يغير في كــل عام علي إيران ويلحق بها الخسائر فاتجه إليه نرسي واستخلص منه أرمنية، فلم يجد تيرداد مناصاً غير أن يلتجئ إلي ديوكلسيان إمبراطوراً الروم فأرســل (جالريوس) زوج ابنته وقائده المشهور لحرب نرسى. وبعد ثلاث مواقــع بــين كالينيك وحران حلّت هزيمة نكراء بجالريوس ذكرت بواقعة حرب كراســوس. وفي شتاء ٢٩٧ أعد جالريوس بإشراف من ديوكلسيان جيشاً آخــر وباغــت

---

(1) في تاريخ حكم هذين الشاهين اختلاف كبير فقد ذكر البعض موت بهرام في عــام ٢٨٢ واعتبروا بلية تيرداد حادثة من أحداث حكم (نرسى).

نرسي بالهجوم هذه المرة من ناحية أرمنية فألحق به الهزيمة وجرح نرسي في هذه الواقعة ووقع أولاده وأخواته أسرى. وفي نفس الوقت عبر ديوكلسيان الفرات وتقدم منتصراً في الولايات غربي بين النهرين. وفي الصلح الذي تم بعد بين الملكين قبل نرسي الشروط التالية:-

١. ترك خمس ولايات إلي الروم (ويعد البعض هذه الولايات شمال دجلة ويعدها غيرهم في شرقه).

٢. الاعتراف بأن دجلة هو الحد الفاصل بين الدولتين.

٣. توسيع مساحة أرمنية حتى تصل إلي حدود ماد.

٤. تخلي إيران عن حقها في (إيبريا) للروم.

ولم يستطع نرسي متابعة الحكم بعد عدة سنوات من عقد هذا الصلح فتَنَحَّى وتوج ابنه هرمز (٣٠١).

هرمز الثاني:-

لم تحدث في عهده واقعة ذات بال، وأمضي أوقاته في تعمير البلاد وأسس محكمة جديدة وقتل أثناء حروبه مع العرب (٣١٠). وتولي بعد هرمز ابنه آذرنرسي الحكم لكن فترة حكمه كانت قصيرة لأنه قتل بسبب قسوة طباعه.

شابور الثاني:-

وهو المعروف بشابور الكبير أو شابور ذي الأكتاف. بعد أن قتل آذرنرسي ولما أن أخاه هرمز كان قد لجأ إلي البلاط البيزنطي فلم يكن من بين أفراد الأسرة الحاكمة وارث للتاج والعرش وللصدفة كانت إحدي زوجات

هرمز الثاني حاملاً فنادي كبار المملكة بالملك للجنين فلما ولد سموه شـــابور. حكم هذا الملك سبعين عاماً، وما أن بلغ سن الرشد وأمسك بأزمة أمور الحكـــم حتى أظهر كفاءته وجدارته فبلغ بالتدريج بإيران إلـــي أوج القـــوة والـــشوكة ويمكن القول أنه لا يمكن لواحد قط من أسرة ساسان أن يرجح شابور الثاني أو يساويه من حيث بسط النفوذ علي البلاد وتدبير شئون العباد غير خسرو الأول أو كسري أنوشيروان العادل الذي سيلي الحديث عنه فـــي موضـــعه. يجـــدر بالذكر أن شابور الثاني عاصر الإمبراطور البيزنطي (كونستانتين) الـــذي دان بالمسيحية وكان يعد نفسه حامياً للنصارى ولهذا السبب وكمـــا يمكـــن التبـــين بوضوح من هذه الأوضاع والأحوال أصبح من الواجبـــات المفروضـــة علـــي ملوك إيران مراقبة تحركات المسيحيين المقيمين بإيران حتى لا يغدوا آلات في يد سياسة الرومان لاسيما وأن تيرداد حاكم أرمنية قد تنصّر بدوره فـــي تلـــك الأيام. لهذا السبب يمكن القول أنه كلما حلت النقمة علي نصارى إيران مـــن حكامها فقد كانت عله ذلك في الأغلب هي السياسة، كما أن ملوك إيران كـــانوا يعاملون بعطف وعدل النساطرة المسيحيين الذين لجأوا إلي إيران هرباً من ظلم رجال الدين المسيحي والرومان.

وفي أيام طفولة شابور أخذت القبائل العربية المقيمة بالساحل الجنـــوبي للخليج الفارسي تنهب وتسلب في خوزستان وما حولها بل أن أحـــد المـــشايخ العرب تجرأ علي مهاجمة طيسفون. ولم يستطع أشراف إيران النهوض بتبعـــة إخماد فتن العرب حتى أن بلغ شابور سن الرشد وعقد همته لتأديب المغيـــرين العرب فأوقع بهم الضربات حتى يقال أنه كان يثقب أكتاف أسراه منهم وينفـــذ من خلالها حبلاً ومن هنا اشتهر بلقب ذي الأكتاف.

وأهم وقائع عهد شابور حروبه مع الروم وكانت العلـــة الأساســـية فـــي

الأغلب لهذه الحروب أرمنية، ولكن يمكن القول إن الـذي دعـا شـابور إلـي التفكير في الدخول في حروب مـع الـروم حمايـة الإمبراطـور البيزنطـي للمسيحيين من ناحية والمعاهدة المهينة لإيران التي عقدها نرسي مع الروم منذ أربعين سنة خلت من ناحية أخرى. تـوفي كونـستانتين فـي ٣٣٧ وخلفـه كونستانتيوس. وفي عام ٣٤١ أسر شابور حاكم أرمنية وولـي مكانـه ابنـه أرشك. كما أن ملك إيران عبر دجلة في ٣٤٨ بجيش جرار واستولي علي بين النهرين المركزية وتقاتل مع الرومان علي كثب من مدينة سنجارا (سنجر).

وأثناء حصاره لنصيبين وافته الأخبار بهجوم قبائل الهون فاضطر إلـي التقهقر والاتجاه إلي شرق إيران. وبعد أن دفع فتنة الهون عاد إلي قتال الروم فجاز انتصارات باهرة واستولي علي ديار بكر وأمر بقتل جميع أهلها.

ولما خلف (جوليان) المشهور بالمرتـد كونـستانتيوس تحـرك صـوب طيسفون ظناً منه أن بإمكانه تعويض انكسار أسلافه ومعه حلفاؤه. وكان شابور الثاني ينتظر هذه السانحة وما إن اقترب جوليان إلي طيسفون بعد تحمله خسائر فادحة وأدرك أن السيطرة علي هذه المدينة الكبيرة ليس بالأمر الهين كما أنـه سمع بأنباء تقدم شابور إليه بجيش عظيم حتى أراد عاجزاً العودة لكن الإيرانيين أخذوا يهاجمونه في كل خطوة ويكبدونه الخسائر حتى حلّ يوليـو عـام ٣٦٣ وكان يشجع جنده الواهنين علي المقاومة حين أصـابه سـهم أحـد الفرسـان الإيرانيين فخر صريعاً. ولم يجد خليفته (جوفيان **Jovian**) الذي نصبه جيـشه إمبراطوراً بداً من مصالحة شابور علي ما يشتهي قلبه ووفق الشروط التـي اقترحها وقبلها الإمبراطور وعليه فقد رجع بجنوده سالمين إلي بلاده.

ووفق هذا الصلح استعادت إيران الولايات الخمس التي كان نرسي تخلي عنها إثر انكساره من جالريوس لصالح الروم وعادت نصيبين وكانـت مفتـاح

المستعمرات الشرقية للروم وكذلك مدينة (سكنارا) إلي إيران وتقرر أن يجلو كافة أهلها عنها كما تعهدت حكومة الروم بألا تتدخل ثانية في شئون أرمنية. وبعد ذلك نهض شابور إلي تسوية قضية أرمنية التي كانت تميل إلي طاعة الروم وتوجه منها إلي أيبريا وطرد حاكمها. واشتعلت الحرب ثانية بين شابور وفالنسيان الإمبراطور الجديد في أرمنية وأيبرياً وفي النهاية عقدت معاهدة في ٣٧٦ والتي لا يعرف محتواها ويظن أن أمور أيبريا وأرمنية تركت لهما بدون تدخل من إيران أو الرومان. وفي عام ٣٧٩ عجّل شابور الكبير إلي الدار الآخرة.

أردشير الثاني:-

هو أخو شابور الكبير لقبه المؤرخون الإيرانيون بالخيِّر والعرب بالجميل ويقال إنه أسقط كل الضرائب عن الأهلية أيام حكمه وسلك مسلك العدل والإنصاف. ومن أحداث حكمه حربه مع الهون وصراعه من أجل أرمنية. ويعتقد البعض أنه خلع من الحكم لكن هذا الاعتقاد محل شك وقد استمر هذا الملك في الحكم حتى ٣٨٢م.

شابور الثالث:-

وهو ابن شابور الكبير جلس علي العرش بعد أردشير الثاني وقد وقع في عهده واقعتان مهمتان أولاهما معاهدة إيران والرومان فيما يختص بأرمنية. وشرح هذه الواقعة أن أمور أرمنية قد باتت وهن الفوضي بعد موت (مانويل) أميرها، فانحازت جماعة من أهلها إلي إيران ومالت أخري إلي الرومان. ونتيجة للقاء سفراء إيران بإمبراطور الروم تيودوز **Théodose** عقدت معاهدة من البلدين وقسمت أرمنية شطرين فضلاً عن بعض المناطق المجاورة لكل

منهما وضمّتها كل دولة إلي أملاكها فدخل القسم الغربي لأرمنية وهو أصغر مساحة نسبياً من القسم الشرقي في أملاك الروم وتملكت إيران القسم الشرقي، وولي شابور الثالث (خسرو) أحد نصارى إيران أمور أرمنية الإيرانية (ويجعل البعض واقعة تقسيم أرمنية إحدى أحداث عهد بهرام الرابع) والواقعة الثانية لعهد شابور حروبه مع القبائل العربية وبفضلها اشتهر بلقب الغازي، وقد حكم هذا الملك حتى (٣٨٨م).

بهرام الرابع:-

خلف شابور الثالث ويعده البعض أخاً لشابور وغيرهم ابناً له ويسميه مؤرخو الشرق بهرام كرمانشاه قائلين أنه كان والي كرمان قبل سلطنته ويؤيد هذا القول خاتِمُهُ الذي خلفه. من الأحداث المهمة لعهده مشكلة أرمنية، فيعد البعض تقسيم هذا البلد علي إيران والرومان قد تم في عهده، بينما يعده آخرون من أحداث عهد شابور الثالث قائلين أن خسرو حاكم أرمنية علي عهد بهرام مال إلي جانب الروم ولاحت الحرب أمراً حتمياً بين الروم وإيران لكن الرومان غيروا رأيهم فلم يكن (تيودوز) متأهباً بأي حال علي الدفاع عن خسرو فاضطر الأخير إلي الاستسلام إلي بهرام فحبسه في قصر (فراموشى) (1). وأجلس أخاه شابور علي عرش أرمنية. وفيما يتصل بأخلاق بهرام الرابع اختلفت أراء المؤرخين، لكن بما أن جيشه قد تمرد عليه في النهاية ولقي مصرعه بسهم واحد منهم فيمكن الحكم بأنه كان يميل إلي العنف (٣٩٩).

يزدجرد الأول:-

هو ابن بهرام الرابع لكن بعضاً يعتبره أخاً لبهرام، علي أي حال تبوأ

---

(1) اسم القصر أو قلعته يعنى النسيان دلالة على سوء عاقبة المحبوس فيه (المعرب).

العرش في ٣٩٩. وعلي عهده كانت أوضاع الرومان قرينة الفوضى والاضطراب ولكن يزدجرد لم يقدم علي خطوة واحدة تقيده في هذه السانحة. مرت فترة حكمه في سكون وأمن وأطلق علي نفسه لقب (المسالم). وأحد أسباب عدم اتخاذ يزدجرد بخطوة عدائية للرومان أن (أركاديوس) اعتبر بموجب وصية خاصة منه يزدجرد حامياً لابنه، فلما مات الإمبراطور وعلم يزدجرد بمضمون وصيته أرسل إلي مجلس الشورى الرومي أن من يقدم علي معاداة الإمبراطور الشاب فسوف يؤدب بشدة. كما أرسل أحد الخصيان أو الطواشية المحنكين ليصاحب الإمبراطور ويدقق في تنفيذ الوصية بكل تفاصيلها.

وقد سمي مؤرخو الشرق هذا الشاه بالأثيم ولعل علة هذه التسمية أن يزدجرد في بداية حكمه عامل النصارى برحمة فأسخط لهذا رجال الدين المجوس عليه، إلا أن هؤلاء المؤرخين أنفسهم يذكرون أن هذا الشاه كان علي خلق عظيم في بداية أمره ثم انقلب بالتدريج إلي العنف والقسوة. وعلي النقيض فقد امتدح مؤرخو الروم يزدجرد ووصفوه بسمو الأخلاق والشهامة. وفي أواخر حكم يزدجرد ساء ظنه بالنصارى بسبب مسلك بعض علمائهم خاصة وأن واحداً منهم وكان مقرباً من الشاه تجرأ علي تخريب معبد نار (طيسفون) الكبير، فقام بإيذائهم وتعذيبهم بل أراد أن يقضي علي المسيحية في أرمنية. مات يزدجرد في (٤٢٠) بسبب رفسة من حصانه لكن البعض يعد هذا السبب محض أسطورة ويعتقد أن الشاه قد اغتيل في مؤامرة وقد افتري قتلته ركلة حصانه له ليخفوا حقيقة الأمر.

بهرام الخامس:-

أراد ابن يزدجرد وهو شابور حاكم أرمنية أن يخلف أباه بعد موته إلا أن علية إيران قتلوه ورفعوا إلي السلطة أحد أقارب يزدجرد البعيدين واسمه خسرو ولم يطل الأمر حتى تقدم بهرام ولد يزدجرد بجيش عظيم إلي طيسفون العاصمة. ويجمع مؤرخو الشرق الذين تعرضوا إلي سيرة بهرام علي أنه تربي في كنف (النعمان) ملك الحيرة، فلما مات أبوه ولم يحضره ابنه في العاصمة أحب ملك الحيرة أن يصاحبه ليملكه تاجه وعرشه. وندرك مما كتبه أولئك المؤرخون أن الخلاف بين خسرو وبهرام قد انتهي إلي الصلح بينهما.

تعقب بهرام سياسة أبيه في إيذاء النصارى ففر منهم عدد إلي بلاد الروم وامتنع تيودوز عن تسليمهم وبهذا نشبت الحرب بين إيران والرومان. وعجّل لمواجهة الروم (مهر نرسي) الذي كان يصل نسبه إلي فيشتاسب والد دارا الكبير وتأهب مستقراً في قلعة (نصيبين) المحكمة فقصد القائد الرومي حصار هذه المدينة فاتجه بهرام إلي الرومان وأجبرهم علي التقهقر. والخلاصة استمرت الحرب بين الدولتين ولم تسفر عن نتيجة حاسمة حتى جنح في عام ٤٢١ الطرفان إلي السلم وكان من شروط هذا الصلح أن يتوقف الظلم والإجحاف بنصاري إيران نظير أن يمارس الزردشتيون شعائرهم بحرية في بلاد الرومان. ومن المسائل التي استوجبت استلفات اهتمام بهرام موضوع أرمنية فقد انعدم الأمن في الطرق إليها وداس أغنياؤها الفقراء بأقدامهم. وفي النهاية تقرر بناء عن مطلب أشراف أرمنية أن أرمنية الإيرانية يدير أمورها حاكم إيراني شأنها شأن سائر ولايات إيران الأخرى.

يروي المؤرخون الشرقيون أن الهياطلة أو الهون البيض الذين يسميهم الروم (هفتاليتس) عبروا في عهد بهرام نهر جيجون وأخذوا يهاجمون بجيش

كبير أفضل ولايات إيران الشرقية. فجمع بهرام جيشاً وهو في آذربايجان وتوجه إلي شرق إيران عن طريق طبرستان وجرجان وباغت الهياطلة بالهجوم وأنزل بهم في مرو هزيمة نكراء إلي حد أنهم لم يتجرأوا علي الاعتداء علي إيران طالما كان بهرام حياً. ويروي أن بهرام قتل بيده ملك الهياطلة وزين بتاجه معبد النار (آذر جشتاسب) في شيز بآذربايجان.

كان بهرام مغرماً كلفاً بصيد الحمر الوحشية (جور) ومن هنا أطلق عليه (بهرام جور) أي بهرام صائد الحمر الوحشية. ويروي في أمر موته أن جواده أثناء صيده غاص في مستنقع بين شيراز وأصفهان وهوي بهرام فغرق ولم يظهر له أثر. ومن المعروف أن بهرام كان يحب المتع واللذائذ ولكن هذا الحب لم يكن يمنعه من أداء مهام ملكه. كان بهرام بوجه عام ملكاً شجاعاً وحسن الإدارة وعادلاً[1].

يزدجرد الثاني:-

هو ابن بهرام الخامس، اعتلي العرش في عام ٣٤٨ أو ٤٤٠م وتوجه إلي قتال الروم لأنهم أخذوا في تدعيم المدن علي الحدود بين الدولتين بالقلاع الحصينة لكي يدخلوا المناطق المجاورة لهم تحت نفوذهم وقدرتهم. ولم يكن تيودوز يميل إلي اشتعال الحرب فطلب مصالحة يزدجرد بتوسط من والي المستعمرات الشرقية الرومانية وتعهدت الحكومتان بالتوقف عن بناء القلاع والحصون في مناطق الحدود بينهما. ولعل يزدجرد قد آثر السلام بسبب هجمات

---

(1) في عهد بهرام قام حبر نصارى مدينة آمد (دياربكر) لكسب عطف الشاه واهتمامه بالنصارى ببيع كل النفائس والأطباق المقدسة في كنيسته واعتنق بثمنها سبعة آلاف إيران أسير وكساهم وأعطاهم مالاً وأعادهم إلى إيران.

الهياطلة لمشرق إيران. وبعد هذا الصلح تفرغ الشاه إلي مدافعة الهياطلة فأوقع بهم هزيمة تامة.

ولما فرغ من هذه المشكلة صمم يزدجرد علي إدخال الأرمن في الـــدين الزردشتي لأنهم ماداموا علي النصرانية فلن تستطيع إيران أن تثق في ولائهم لها. لهذا رام في البداية أن يغير الأرمن دينهم عن رضا منهم ورغبة وبذل في ذلك (مهرنرسى) كامل مهارته وحذقه بل كتب طعناً علي المسيحية فتولي الرد عليه اثنا عشر حبراً مسيحياً، فلما فشل يزدجرد في تحقيق هدفه بالرضا فكر في فرض الزردشتية علي الأرمن بالجبر والضغط وبالتالي قامت ثورة عظمـــى. ومع أن يزدجرد كان منشغلاً في شرق إيران إلا أن أسرع إلي أرمنيـــة وبهـــا أنزل بأهلها هزيمة ماحقة في الحرب المشهورة والدموية المسماة (أفادير) وقتل قائدهم (فاردان ماميكونى) في ساحة القتال وحبس عشرة مـــن كبـــار رجـــال المسيحية ومعهم يوسف البطريق ثم قتلوا جميعاً بعد ذلك بأعوام ثلاثة. وفرضت الزردشتية علي الأرمن وشيدت معابد عديدة للنار. وبعد الانتهـــاء مـــن هـــذه المشكلة تفرغ يزدجرد لطرد الهياطلة فانتصر عليهم في البداية لكنه لمـــا عبـــر جيجون جمّع الهياطلة شجاعتهم وأخذوا يقاتلونه فأحلوا به هزيمة نكراء حتـــى أنه اضطر إلي العودة إلي بلاده، ولم يطل به العمر بعد هذا الانكسار فقـــضي نحبه (٤٥٧).

هـــرمز الثالث:-

لا تعرف هل كان هرمز الابن الأصغر أم الأكبـــر ليزدجـــرد، فـــبعض المؤرخين يرون أن يزدجرد كان يميل إلي هرمز لهذا احتفظ بـــه عنـــده فـــي العاصمة وجعل فيروز حاكماً لسيستان، فلما تـــوفي يزدجـــرد اغتـــنم هرمـــز الفرصة وأعلن نفسه ملكاً، وتغلب فيروز علي أخيه هرمز بمساعدة الهياطلـــة

وجماعة قد لجأت إليه بسبب ظلم هرمز لهم وأوقعه في أسره. ولا ندري نهاية هذا الملك هل قتل أم أن فيروز عفا عنه.

فـــــيروز:-

أثناء حرب هرمز مع فيروز اغتنم أمير أران (إيبريا) الفرصة فرفع فيها راية التمرد. وفي البداية أخمد فيروز هذه الثورة بمساعدة الهياطلـــة. وحـــدث قحط شديد في أيام هذا الملك واستمر سنوات عديدة. يروي مؤرخو الشرق أن فيروز أصدر أوامره في البداية بأن يساعد الأغنياء الفقراء ويهتم الولاة بـــأمور الأهلين المعيشية. ولما استمر هذا الجدب أعفي الشعب من أداء كل الضرائب. ثم فتح أبواب خزائنه وقسمها علي الفقراء. وفي نفس هذه الأحوال العـــسيرة استورد الغلال من اليونان والهند وما وراء النهر والحبشة.

كانت علاقة فيروز بالهياطلة حسنة في البداية، لكنها تكدرت حين امتنـــع عن أداء المال الذي تعهد بدفعه إليهم مقابل الخدمة التي أسددها إليه[1]. وانتهـــي الأمر بينهما إلي الحرب. ودخل فيروز بلاد الهياطلة وسحبه (خوشنواز) ملـــك الهياطلة إلي أرض سهلية واسعة تحيطها التلال المغطاة بالأشجار الكثيفة حيث كان الهياطلة يكمنون. واضطر فيروز إلي قبول الصلح وتعهـــد بعـــد مقاتلـــه

---

(١) يروى أن فيروز من أجل كسب رضا خوش نواز حاكم الهياطلة زوجه من جاريـــة علـــى أنها بنته فلما تبين خوش نواز حقيقة الأمر غضب بشدة فطلب للانتقام مـــن الـــشاه ثلاثمائـــة ضابط إيراني لمعونته متظاهراً بأنه ينوى حرب عدو له. ولم يكن فيـــروز يتـــصور خديعتـــه فأجاب سؤله. وقام خوش نواز بقتل بعض هؤلاء الضباط وقطع جوارح بعضهم وأرسل بهـــم إلى فيروز ولا ندرى مبلغ صحة هذه الرواية.

(خوشنواز) مرة أخرى[1]. وفي نفس هذه الأحوال اكتسبت مسألة أرمنية أهمية بسبب أن فيروز كان يود أن يحول أهلها إلي الزردشتية فضلاً عن أن حاكمها الإيراني أخذ يعامل النصارى منهم معاملة فظة فصار هذا باعثاً علي أن يعلن (ساهاك) نفسه حاكماً لأرمنية وجعل (ماهان) وهو سليل أسرة معروفة منهم قائداً لجيشه وفي نهاية الأمر انهزم الثوار وقتل ساهاك وَفَرَّ فاهان. وكانت مشكلة أرمنية علي وشك أن تحسم لولا أن فيروز استدعي قواده من هذا البلد. إذ كان فيروز يتميز غضباً مما لحق به من هزيمة علي يد الهياطلة فقصد تجديد الحرب معهم. ومع أن رئيس الموابذة وبعض قواده كانوا يعارضونه لأنه سيحنث بعهده معهم لكنهم لم يستطيعوا منعه[2]. لكن هذه المرة أيضاً دارت الدائرة علي فيروز فانهزم ويروي أنه وكثرة من جنوده لقوا حتفهم غرقاً في خندق عميق وعريض ويفيض بالماء كان خوش نواز قد أمر بحفره وتغطيته (٤٨٣م).

كان فيروز ملكاً عادلاً ورحيما ولو صحت روايات مؤرخي الشرق عن مسلكه الكريم مع الشعب أيام القحط فإنه بلا شك يعد أحد الملوك الأخيار. ومع

---

(١) اشترط خوش نواز للصلح أن يركع فيروز له ويتعهد بألا يحاربه ثانية فاستقبل فيروز بناء عن نصح موبذه الشمس وركع إليها وأقسم بالا يقاتله وألا يتخطى المنارة التي نصبت حداً بين المملكتين.

(٢) يذكر الطبري أن فيروز حتى لا يحنث بقسمه ألا يتخطى المنارة التي كانت حداً بين البلدين أو بحمل هذه المنارة أمام جيشه أثناء سيره وتوقفه حتى لا يتخطاها. وتعليق (المعرب) أن كثرة من الروايات عن ملوك إيران القدامى من نسخ خيال المؤرخين وكثير منهم من أصول فارسية كالطبري فكانوا يسبغون عليهم صفات العدل والرأفة والتدين من باب التغصب لهم من ناحية ومن أجل تنبيه الحكام المسلمين إلى وجوب تقليد هؤلاء الملوك في حسن أخلاقهم.

كثرة مشاكله في الداخل والخارج، بني عدة مدن وبسط حمايته علي المسيحيين الذين طردوا من بلاد الروم.

بـــــلاش:-

يعده مؤرخو إيران ابناً لفيروز لكن مؤرخي اليونان والمؤرخين الأرمن المعاصرين اعتبروه أخاً لفيروز وعم (قباد) أبي كسري أنوشيروان. ولما هلك فيروز في حربه مع الهياطلة خلفه بلاش الذي أمر (سوخرا) بمقاتلة الهياطلـــة. ويروي أن سوخرا بسبب مهارته في رمي السهام تغلب علي الهياطلة في تلك الحرب وأجبر خوش نواز علي تسليم الأسري الإيرانيين. ومن المعروف أن إيران كانت تدفع جزية باهظة من عامين انقضيا من ذاك الوقت إلي الهياطلـــة فخلص بلاش نفسه من هذا العبء الثقيل وإحدي وقائع عهد بلاش قضاؤه علي ثورة أرمنية فأخمد أوارها بالعدل والإنصاف. وفي نفس تلـــك الأيـــام ادعـــي (زره) ولد فيروز التاج والعرش لنفسه لكنه سرعان أن غلب وأسر. ولجأ ابـــن آخر لفيروز وهو (قباد) إلي خوش نواز لاستعادة تاج أبيه وعرشـــه وطلـــب مساعدته. وقبل خوش نواز بعد تفكير أن يجيبه إلى مطلبه[١]، إلا أن بلاش حل به المنون في تلك الأثناء (٤٨٧م).

قـــــباد:-

---

[1] روى أيضاً عن حكم بلاش أن (زرمهر) أو (سوخرا) أجلس بلاش على العـــرش وبعـــد أن هزم قائد الهياطلة واستعاد الأسرى الإيرانيين كان قباد من بـــين هـــؤلاء الأســـرى فطالـــب باسترداد تاج أبيه وعرشه وبالتالي خلع الأشراف الإيرانيون بلاش عن الحكم وأجلـــسوا قبـــاد مكانه ويشك في صحة هذه الرواية.

في بداية سلطنة قباد انثال الخزريون عن طريق القوقاز في الأرجاء الخصبة مثل أران وأرمنية وغيرهما مما يتبع إيران وأخذوا يقتلون وينهبون فألحق بهم قباد هزيمة فادحة وبعد نصره هذا بدا له إلي أنه سيحل محبوباً في أفئدة الخاصة والعامة وسوف يمضي حكمه بسعادة وهناء إلا أن اعتناقه مذهب مزدك الاشتراكي قد قلب الأمور رأساً علي عقب فقد تجرأ أتباع مزدك بسبب حماية قباد لهم حتى أنهم أرادوا أن ينشروا مذهبهم في البلاد المجاورة لإيران. ويقال أن سبب اعتناق قباد هذا المذهب أنه كان يريد أن يقلل من نفوذ الموابذة وسيطرة الأعيان والنجباء الإيرانيين.

ولما لم تجد نصيحة رئيس الموابذة لقباد فتيلاً ولم ينصرف قباد عن إيمانه بمزدك قبضوا عليه وحبسوه بقصر (فراموشى) ونادوا بأخيه (جاماسب) ملكاً (٤٩٧) وعلي هذا النحو انقضت الفترة الأولي بسلطنة قباد. تمكن قباد من الفرار من محبسه بعون زوجته وتوجه إلي الهياطلة وزوجة ملك الهياطلة من ابنته وسيّر معه ثلاثين ألف مقاتل. وما أن اقترب قباد إلي العاصمة حتى تخلي بدون حرب أخوه جاماسب عن العرش والتاج له، وبناء علي هذا فيمكن حساب أن الفترة الثانية لحكم قباد بدأت بعام (٥٠١م) وتخلي قباد عن حماية مزدك والمزادكة علي النقيض مما سبق منه.

ومن الأحداث المهمة للفترة الثانية من سلطنة قباد حروبه مع الروم بسبب أن الروم كانوا قد تعهدوا من عهد يزدجرد بدفع مبلغ سنوي من المال لإيران لقاء حراسة الجنود الإيرانيين لثغر القوقاز فطالب قباد بهذا الحال فاستنكف إمبراطور الروم (أناستاز) من دفعه فبدأت الحرب. ودخل الجيش الإيراني أرمنية وسقط القسم الأساسي منها تحت استيلائه فأوسعه نهباً. أما قباد فقد دخل من ناحية أرمنية شمال بين النهرين وحاصر مدينة (آمد) أو ديار بكر واستولى

عليها بعد ثمانية عشرة يوماً. ولم يحقق القواد الرومان نجاحاً وكان بإمكان قباد أن يواصل فتوحه حين بلغه خبر هجوم الهياطلة (بسبب عدم وصـــول الجزيـــة السنوية إليهم) فاضطر إلي الاتجاه إلي الشرق.

وفي خلال هذه الفترة أخذ القواد الرومان ينهبون ويقتلون فيمـــا حـــول (آمــــد) و (نصيبين) لكنهم فشلوا في دخول هاتين المدينتين حتى عقد صـــلح وأغضي قباد نظره عن فتوحه لقاء تلقيه مبالغ مالية طائلة. إلا أن الروم بدأوا في تشييد القلاع المحكمة علي الحدود مع إيران خلاف ما تنص شروط الصلح. وعقد جوستان الذي صار إمبراطوراً بعد أناستاز حلفاً ضد إيران مـــع حـــاكم الهياطلة بل أدخل تحت حمايته أحد أمراء (لازيكا) وكان تابعاً لإيران وتحـــت حمايتها.

وبديهي أن تكدر هذه الأحوال العلاقات بين إيـــران والـــروم فتجـــددت الحرب. وأصيب (بليزير) القائد الرومي المشهور الذي أمر بحرب إيران يعاونه (سيتاس) بهزيمة مرة (٥٢٧م) وصار (جوستنيان) امبراطـــوراً للـــروم فـــأمر (بليزير) ببناء قلعة جديدة قرب نصيبين. وهاجم بشدة ثلاثون ألف جندي إيراني بقيادة (خشايارشا) ابن قباد وفيروز مهران الجيش الرومي فهزموهم شر هزيمة.

وفي عام (٥٣١) قصد الجيش الإيراني أنطاكية عن طريق الشام ومـــع أن بليزير انهزم كذلك في هذه الحملة إلا أن إيران لم تستفد من انتصارها شيئاً. فعاد قباد وأرسل جيشاً آخر يقوده ثلاثة إلي المناطق الخاضعة للروم فيما بـــين النهرين. ولم يجد القائد الرومي حيلة إلا أن يذيع خبراً كاذباً مفـــاده أن شـــعوباً أخري اتفقت مع الروم علي مهاجمة الجيش الإيراني من خلفه. وانجلت حقيقة الخبر أمام القادة الإيرانيين إلا أن الأنباء جاءتهم بموت قباد.

قام قباد في أواخر حكمه بالقضاء علي المزدكيين بـــسبب أنهـــم كـــانوا

يطلبون منه أن يتخلى عن الحكم ويسلمه إلي أحد أولاده الذي اختلف في اسمه. فنهض قباد – وكان يميل إلي أن يكون ابنه خسرو (كسرى) خليفته – بتأديب أتباع مزدك.

كسري أنوشيروان:-

ولي قباد ابنه كسري الأول عهده قبل وفاته. ويعد خسرو الأول أعظم ملك ساساني بلا ريب إذ ظل ذكره خالداً في الأدب الفارسي والعربي قروناً متوالية ولا يزال طيب الذكر حتى اليوم علي ألْسنة الخاصة والعامة الإيرانيين. ولد الرسول عليه السلام في عهده ويروي أنه قال (ولدت في زمن ملك عادل) وقد ذاع صيت هذا الملك الملقب بالعادل وأنوشك روان[1]. في العالم بحسن إدارته وبسطة سلطانه معاً وقد بقي الكثير من تنظيماته نموذجاً للإدارة حتي في عهد الخلفاء العباسيين.

في بداية حكم خسرو تشاور عدد من أعيانه وتصوروا أن قباد ولد جام الأخ الأكبر لكسري يمكن أن يحل محله في الحكم فشدد كسري في تأديبهم وأورد جميع أخوته وأولادهم الذكور مورد الهلكة ولم ينجح منهم غير قباد بن جام الآنف الذكر. ولم تقتصر شدة أنوشيروان علي هذه الواقعة في بداية حكمه بل سلك العنف الزائد لأجل الحيلولة دون الفوضى وللسيطرة علي أتباعه وتأديب المجرمين ومن ذلك أمره بقتل (مزدك) وجمع كبير من أتباعه في يوم واحد. ولم يطل الأمر حتي استتب الأمن والنظام في سائر أقاليم إيران وأدرك

([1]) أنوشيروان تحريف كلمة أنوشك روان بمعنى الروح الخالدة (المؤلف). أما (أنوشك) فمن سابقة (ان) التي هي ((un الإنجليزية وتفي النفى و (نوش) بمعنى الموت والكاف للاتصاف و (أنوشك) أي الذي لا يموت أو الخالد و (روان) تخفيف (رووان) البهلوية بمعنى الروح (المعرب).

الجميع وخامة العاقبة إذا سلكوا طريق العصيان لمثل هذا الملك المقتدر القاسـي في نفس تلك الأوقات رأي كسري أن من صلاحه أن يطيل أمد المعاهدة مـع جستنيان الذي كان يطلب المهادنة ولكن بعد عقد هذه المعاهدة اتفق المنذر أمير الحيرة وإمبراطور الروم علي نحو لا يفيد إيران وكان يظهر أن الإمبراطـور الرومي كان يميل إلي خلق نزاع بين ملك إيران والأمراء التابعين له، فـدفعت هذا الواقعة كسري إلي الدخول في صدام مع الروم وعبر ملك إيران لإمضاء عزمه الفرات وعجل إلي أنطاكية بعد تحصيله الغرامات من مدن الروم وفـتح تلك المدينة الجميلة في (٥٤٠م) ثم أمر سكانها إلي الرحيل عنها إلـي بـين النهرين وأمر ببناء مدينة جديدة لإقامتهم بها سميت (أنطاكية خسرو) وهي التي يسميها العرب (رومية).

وفي السنة التالية اتجه كسري إلي (لازيكا) وهو يهدف إلي الـسيطرة علي سواحل البحر الأسود ويهدد القسطنطينية ذاتها وحينما كان كسري وقواده المشاهير منشغلين بالسيطرة علي تلك النواحي عبر القائد المشهور الرومـي (بليزر) حدود بلاده بقصد إعادة كرامة الرومان وخف صوب نصيبين لكنه لـم يستطع السيطرة عليها. وفي عام (٥٤٢م) عزم كسري علي الاستيلاء علـي فلسطين لكن تفشي الوباء بها صرفه عن عزمه. وحدث نفس الأمر مع أرمنية حين قصد تأديب سكانها فما أن وصل آذربايجان حتى تفشي المرض في جنده فاضطر إلي الانسحاب ومع ذلك ألحق أحد قادة كسري الهزيمة بـالروم فـي أرمنية وكانت الهزيمة من الفداحة بحيث أجبرت جـستنيان علـي التـصالح والحصول علي معاهدة سلام بين إيران والروم بعد أن دفع ألفي قطعـة مـن الذهب ومعها أحد أطباء اليونان المشاهير إلي بلاط كسري علي أن يدوم هذا الصلح خمسين عاماً.

ولم يطل الوقت حتى هاجم الروم قلعة البتراء[1]. في لازيكا لكنهم أخفقوا في تحقيق مأربهم. وتمكن سفير خاص إيراني بعد استعمال كامل حذقـه مـن إثبات نقض الروم عهدهم أمام الإمبراطور جستنيان الذي اضطر ثانية إلي دفع ألفين وستمائة قطعة ذهبية لكي يستمر صلح الخمسين عاماً بين الدولتين إلا في منطقة (لازيكا) التي تكون خارجة عن نطاق السلام وعدم الحرب بناءً عن طلب السفير الإيراني، حتى اقتنع أبوشيروان في النهاية بصرف النظر عن لازيكـا وتعهد الإمبراطور مقابل هذا بدفع ثلاثين ألف قطعة ذهبية إلي إيـران سـنوياً وتسليم أقساط سبع سنوات من الخمسين مقدماً.

ووفق هذه المعاهدة كانت الروم في باطن الأمر تدفع الخراج إلي إيـران لكن إقليم لازيكا كان يتبعها فاستفاد الطرفان إذن مـن هـذه المعاهـدة. ولعـل أنوشيروان كان يقصد من عقده هذه المعاهدة أن يطمئن قلبه من ناحيـة الـروم ويفرغ لتأديب الهياطلة والخزر. وأثناء معاهدة السلام بين الروم وإيران استولي كسري يعاونه خاقان الأتراك علي بلاد الهياطلة واغتنم خـزائنهم. والمـسألة الثانية التي استلفتت اهتمام كسري هي قوة الأحباش في اليمن لأنه لـم يكـن يري من صلاحه أن تنمو قوي شعب مسيحي في اليمن. وفي تلـك الأيـام احتمي سيف بن ذي يزن بالشاه وطلب مساعدته لطرد الأحباش مـن الـيمن فأجاب كسري طلبه وذاق الأحباش هزيمة نكراء بقوة سواعد الجيش الإيرانـي وسلم سيف حكم اليمن إلي والٍ إيراني من طرف كسري وهو (المرزبـان) وراعي الإيرانيون احترام عقيدة العرب.

من ناحية أخري أرسل خاقان الترك (ديزا بول) الذي كان قـد اسـتولي

---

(١) هي باطوم الحالية على سواحل البحر الأسود. (المعرب).

علي شطر من بلاد الهياطلة سفيراً إلي كسري في (٥٦٧م) يطلب عقد معاهدة معه وإقامة علاقة المودة بين إيران والأتراك ولم ير كسري نفعاً له في عقد شل هذه المعاهدة ولهذا حرض خاقان الترك إمبراطور الروم جستان الثاني علي حرب إيران وعقد صلح المودة بين الروم والترك. وتحرك ديزابول حرب إيران بجيشه في نفس الوقت واستولي علي بضع مدن إيرانية بناء عن رواية المؤرخين الشرقيين لكنه لم يجرأ علي المقاومة حين قابله هرمز ولد كسري بجيش عظيم فآثر الفرار.

من ناحية أخري نقض جستان عهده وامتنع عن دفع أقساط الخراج السنوية فاشتعلت الحرب ثانية بين البلدين واتجه كسري بذاته مرتدياً زيه العسكري إلي الحرب ودفع بقائده المعروف (آذرمان) إلي سورية فأجبر أنوشيروان الروم علي ترك حصار نصيبين والاستعاذة بمدينة (دارا) ودخل آذرمان سورية وتقدم حتى أنطاكية، ثم قفل راجعاً ولحق بكسري أمام مدينة (دارا). وفي شتاء ٥٧٣ فتحت دارا ولما رأي جستان عجزه أمام كسري أخلف مكانه كونت تيبريوس وطلب الروم معاهدة لمدة عام نظير دفعهم (٤٥٠٠٠) قطعة ذهبية وإمهالهم ستة أخري بعد ذلك العام وفي النهاية اتفق الطرفان علي عقد معاهدة سلام لمدة ثلاثة أعوام بين إيران والروم (لم يشمل هذا الصلح أرمنية) ووافقت حكومة الروم لعقد هذه المعاهدة علي دفع ثلاثين ألفاً من العملة الذهبية كل عام.

وبعد هذا الصلح اتجه كسري أولاً إلي أرمنية وحدثت حروب شديدة فيها وفي (٥٧٧) أنزل القائد المشهور الإيراني (تام خسرو) هزيمة فادحة بالروم وبعد انتهاء مدة الصلح في ربيع عام ٥٧٨ ترك تام خسرو بأمر الملك أرمنية وهاجم أطراف (آمد) لكن موريس القائد الرومي دخل أرمنية الإيرانية

وفي صيف ذاك العام دخل بين النهرين الشرقية فخربها بل عبرت مجموعة من رماة السهام الروم دجلة واتجهت إلي بلاد الأكراد. وأثناء الشتاء تخلي الروم عن أكثر مستعمراتهم وانسحبوا إلي بلادهم. وكان تيبريوس مع انتصار جيشه مستعداً للصلح لكن العمر لم يمهل كسري فرحل إلي الدار الآخرة في قصره بطيسفون (كتزيفون) عام ٥٧٩م.

لا يشتهر أنوشيروان في العالم بسطوته واستيلائه علي البلاد وحسب بل حاز قصب السبق أيضاً في حسن الإدارة وتعمير البلاد فما أن تربع علي عرش الحكم حتى رأي الفوضى تعم أوضاع البلاد إذ كانت الضرائب تصل البلاط بطريقة سيئة وتجاوز ظلم الولاة للرعية واختل الأمن بحالة يؤسف عليها وأعجز التعصب الديني جميع أفراد الشعب وكانت طبقاتهم تتبادل الشحناء والإحنة كما كان المجرمون بمنأى عن العقاب وتخلفت الزراعة وكانت العامة في سخط والجميع في عذاب. فصمم كسري علي القضاء علي كافة مظاهر هذه الفوضى وعليه قام بإصلاحات أساسية في كل شأن من شئون البلاد والعباد فوضع نظام وصول الضرائب علي أساس متين وبذل أقصي مساعيه لتشجيع الزراعة والزراع وسعي سعياً بليغاً في دفع رواتب الجنود ودفعهم إلي الفداء.

ومع أنه أنزل شديد عقابه بالمزدكيين إلا أن فعله هذا لم يكن منطلقاً إلا من نظرته السياسية والاجتماعية لأنه خلا من كل أنواع التعصب الديني غير المبرر منع كسري التسول واحتسب الكسل مهانة وصرف من خزينته نفقات المعيشة للفقراء والمعوقين وأجبر الشباب علي الزواج وكان يوفر الأموال لتزويج الفتيات الفقيرات من خزائن الدولة ونصب تربية أولادهن علي مسئولية الدولة.

ولم يكن أنوشيروان مروجاً للعلم والمعرفة وحسب بل كان بذاته محباً

للفلسفة وينزل الحكماء منازل الاحترام حتى أنه استقبل سبعة من الفلاسفة اليونانيين الذين طردوا من بلادهم بموجب فرمان جائر من جستان استقبالاً حسناً ومنحهم حمايته وكان يشاطرهم الطعام علي مائدته ويتباحث معهم في المسائل الفلسفية. كما أن عدداً آخر من العلماء اليونانيين قدم إلي بلاطه وأفادوا من كرم ضيافته.

وفي عهده ترجم إلي البهلوية كتاب كليلة ودمنة الذي ألفه بيدبا الحكيم الهندي واهتم بالزردشتية وتاريخ إيران وقرر إعادة نشر حكم أردشير الأول ومواعظه وأسس في جنديسابور بالقرب من شوش مدرسة طبية وتحولت تدريجاً إلي جامعة كان يُدّرس بها الفلسفة والمعاني والبيان والشعر وأدخل الشطرنج من الهند في عهده. والخلاصة أن المدح الذي دَبّجه به الشعراء والأدباء الشرقيين شعراً ونثراً لم يكن بجانب الحقيقة وحق له أن يسمي بالملك العظيم العادل.

هرمز الرابع:-

تبوأ العرش بعد وفاة كسري أنوشيروان ابنه هرمز الرابع والذي كانت أمه ابنه خاقان الترك ولهذا سمي (التركي) ووعد بأن يتعقب سياسة أبيه في الحكم. حكم هذا الملك في البداية بالعدل والإنصاف ولم يكن مستعداً لأن يخضع لمآرب الموابذة وكبار رجال الدين الزردشتي أو أن يضايق أتباع المذاهب الأخرى لكنه بناء علي شهادة أكثر المؤرخين غيّر مسلكه وانحرف عن الطريق المستقيم فيما بعد. رام ملك الروم تيبريوس عقد معاهدة مع هرمز علي أن يصرف الأخير نظره تماماً عن ادعاءاته ملكية أرمنية وأن يعيد له مقابل ذلك مدينة دارا. ولم يكن هرمز مستجيباً لهذا المطلب بل أخذ يطالب الروم بدفع الأقساط السنوية المتفق عليها وعلي أثر ذلك بدأت الحرب بينهما. وعدم هرمز

كفاءة والده ولياقته وانهزم قادته من موريس القائد الرومي إذ حلت الهزيمة بآذرمان في (٥٨٠) واضطر إلي الانسحاب إلي إيران وقتل تام خسرو في (٥٨١).

ولما عاد موريس إلي القسطنطينية لقي خليفته (موستاكون) هزيمة نكراء قرب دجلة من الجيش الإيراني وأصيب بعقب هذه الهزيمة بهزيمة أخري فثبت عجزه وعين مكانه فيليبيكوس. ولم يحقق هذا القائد بدوره شيئاً مهماً فترك الجيش إلي قيادة هيراكليوس (هرقل) وتعهد وظيفة تفتيش الجيش. ومع هذا لم يخرج الروم بكبير طائل فكان النصر والهزيمة يترددان بين الإيرانيين والرومان. ظلت الأوضاع علي هذا المنوال حين لاح خطر عظيم في مشرق إيران إذ عبر خاقان الترك نهر جيجون بجيش لجب واستولي علي بلخ وهراة وكان انتصار الأتراك يشكل خطراً عظيماً إلا أن هرمز لم يتحرك لمقاومة الترك بشخصه واكتفي بإرسال أحد قواده وهو بهرام (جوبينه) للقائهم. فنهض بهرام وأنجز هذه المهمة بنحو مشرف وقتل خاقان الترك أثناء القتال وأسر ابنه في موقعة أخري واغتنم بهرام غنائم كثيرة وأرسل بها إلي البلاط.

بعد هذه الانتصارات أرسل هرمز بهرام إلي لازيكا ولما حاقت ببهرام هزيمة بسيطة بيد الروم أقدم هرمز علي خلعه لما كان ينفس عليه بسبب انتصاراته وعامله بإهانة وإذلال ودفع سوء معاملة هرمز لهذا القائد الكبير إلي أن يعلن عصيانه له فتحرك بجيشه صوب العاصمة ولحق به جيش بين النهرين الذي كان ساخطاً بدوره علي هرمز بل تحالف مع بهرام الجيش الذي أرسله هرمز للقضاء علي العصاة والثائرين وبهرام، وعلي أثر هذه الأحداث أساء هرمز الظن بالجميع بل وساء ظناً بابنه خسرو فألقي بعدد كبير في السجن ونتج عن ذلك قيام ثورة كبيرة في العاصمة وسبق ببندو وبيستام أخوا زوجته

هرمز إلي تلقف أزمة الثوار فألقيا بهرمز في السجن ثم قتلاه بعد بضعة أيام (٥٩٠م).

كرسي الثاني (برفيز):-

بعد مقتل هرمز رفع الثوار كسري الثاني إلي سدة الحكم. كان اعتلاء كسري العرش في تلك الأحوال والظروف خاصة معاداة بهرام جوبين أمراً تكتنفه المصاعب وانتهت المكاتبات ومباحثات الصلح بين كسري وبهرام إلي طريق مسدود لهذا عاجل كسري لمدافعة بهرام بجيش عظيم. وبلغت بهرام جيش كسري بالهجوم ليلاً وأثار مشاعر الجنود وضمهم إليه ولم يجد كسري بداً من الانسحاب إلي طيسفون ولما تيقن من خطورة حرب بهرام وصعوبتها التجأ بالروم وطلب معونة موريس إمبراطور الروم. فأظهر موريس عطفه علي كسري وأرسل لمعونته مائة أو سبعين مقاتلاً ومالاً لنفقات الحرب، لكن خدمة موريس إلي كسري لم تكن بدون مطمع إذا طلب مقابلها أرمنية الإيرانية وبين النهرين الشرقية. وفضلاً عن الجند الرومان كان لكسري جيش آخر في آذربايجان أو بعبارة أخري أعد له خالاه ببندو وبيستام جيشاً في تلك المنطقة وانضمت إليه مجموعة من جيش أرمنية.

ودارت بين بهرام وكسري حربان مهمتان أولاهما قرب سلسلة جبال (بست) والثانية جنوب بحيرة أرومية. وفي الحرب الثانية انهزم بهرام هزيمة تامة وأجبر علي الفرار وتعقبه بيستام إلا أن بهرام تمكن من الوصول إلي بحر جيجون والدخول في حماية خاقان الترك.

عاد كسري إلي العاصمة في صيف ٥٩١. واستمرت العلاقات الحسنة بين إيران والروم نحو ثنتي عشرة سنة ومع أن شروط موريس قبائل معاونة

كسري كانت فادحة إلا أن كسري أوفي بها ولم يحرك أدني ساكن لاسترداد ما ضاع منه وآل إلي الروم. وظلت الأوضاع علي حالها تلك طوال حياة موريس ولكن حين اغتصب (فوكاس) عرش إمبراطورية الروم واغتال موريس وكافة بنيه انبعث كسري للانتقام فبدأت الحروب من عام (٦٠٣م).

في هذا العام أحل برفيز بجيش الروم وعلي رأسه (جرمانوس) هزيمة ماحقة علي كثب من (دارا) وفتح في ٦٠٥ هذه المدينة المشهورة التي كانت أهم قلعة للروم في تلك الأنحاء. وفي السنة التالية وقعت بيد مدن أخري من بينها آمد (دياربكر). وفي (٦٠٧) فتح حَرّان وأدسّا وعبر كسري الفرات وأشعل نار غضبه بكثير من المدن الرومية. وفي (٦٠٩) سقطت القلاع المحكمة بأرمنية بيد الإيرانيين وفي (٦١١) عبر الجيش الإيراني الفرات للمرة الثانية وفتح ما صادفه من مدن حتى وصل أنطاكية وأخذ يغير علي هذه المدينة العظيمة.

في هذه الأوقات خلع فوكاس من إمبراطورية الروم وحل محله هراكليوس (هرقل). ومع هذا التغير الذي حدث في الإمبراطورية الرومانية لم يتخل كسري عن الحرب فاستولي في (٦١٢) علي قبادوقية ومدينة (مازاكا) المعروفة. وانفتحت له مدينة دمشق بعد سنتين وعجل القائد الإيراني (شهربراز) من دمشق إلي فلسطين ففتحها في (٦١٥) وأرسل بالصليب المقدس إلي طيسفون وفي (٦١٦) تحرك شهربراز من فلسطين إلي مصر ولم يطل به الوقت حتى استولي علي الإسكندرية. بعد هذا الفتح وقع بين الإيرانيين كل المدن المصرية حتى حدود الحبشة كما فتحت أيضاً جزيرة قبرص.

ومن ناحية أخري تقدمت فرقة من الجيش الإيراني بقيادة (شاهين) من آسيا الصغرى حتى ساحل البوسفور وحاصرت المدينة ذات الأهمية والقلعة

الحصينة (كالسدون) التي كانت تقع في مقابل القسطنطينية تماماً. ولما رأي هرقل عاصمته في معرض الخطر أرسل بناء عن نصح شاهين ثلاثة من أعيان الروم إلي بلاط كسري أملاً في انتهاء الحرب بالسلام. ولم يكن كسري مرحباً بالصلح بل هدد شاهين بالقتل وعنفه بسؤاله (لماذا لم ترسل هرقل مصفداً بالقيود إلي بلاطي). وسقطت كالسدون بيد الإيرانيين عام ٦١٧ وبعده بثلاثة أعوام استولوا علي أنقرة وبهذا النحو سقط في يد الإيرانيين جميع المستعمرات الرومية في آسيا الصغرى وأفريقيا الشرقية خلال خمس عشرة سنة وبلغت بسطة الشاهنشاهية الإيرانية ما بلغته في العهد الهخامنشى.

لما رأي هرقل عاصمته (القسطنطينية) في مهب رياح الخطر فكر في الهروب لكن سكان العاصمة علموا بنيته فأثنوه عنها. ورتب إمبراطور الروم مرغماً جيشاً لقتال كسري واصطنع الحيلة حتى بلغ زاوية بين آسيا الصغرى وسورية بخليج (إيسوس). فأرسل كسري قائدة شهربراز لمقابلته فدارت رحى حرب ضروس بين الإيرانيين والرومان في الجبال الواقعة بحدود أرمنية وفي هذه الحرب دارت الدائرة علي شهربراز فانغلب وانتصر الرومان لأول مرة بعد قتل موريس.

وفي السنة التالية عبر هرقل نهر أرس بعون الخزر وسائر قبائل تلك المنطقة ودخل أرمنية وقصد منها آذربايجان قاصداً مواجهة كسري. وفي عام ٦٢٤ هاجم هرقل إيران وغلب شاهين وشهربراز وفي عام ٦٢٥ سقطت آمد بيد الروم.

فكر كسري بعد أن غضب غضباً شديداً بسبب انتصار إمبراطور الروم في إنزال ضربة شديدة بهرقل في القسطنطينية ولو تحقق قصده لتغير بالقطع تاريخ العالم. إلا أن مساعي كسري باءت بالفشل ولم يتيسر فتح هذه المدينة له

بسبب مدافعة سكان غرب نهر الدانوب من مثل الآفاريين والسلاف والبلغـــار. ويمكن القول أن الحظ أدبر عن كسري لأن في بعض من الأوقات كان وقـــوع الحوادث الطبيعية سبباً في هزيمة الجيش الإيراني[1]. وفي أواخر عام (٦٢٧) اشتعلت الحرب في سهول (نينوا) وبدون أن تحل هزيمة بـــالإيرانيين وبـــدون انسحابهم من المدينة قتل قائد الجيش ومعه عدة نفر من الضباط. ومع ذلك قاوم الجيش الإيراني بدون قائد حتى غروب الشمس. وبعد أن استولي إمبراطور الروم علي نينوا عجل إلي دستجرد التي جعلها كسري عاصمة له. واســـتعد كسري للمواجهة لكنه ركن إلي الفرار إلي طيسفون العاصمة الساسانية مـــن دستجرد حين اقترب إليه هرقل فنهب الأخير قصور السلطنة بهذه المدينة لكنـــه انصرف عن مهاجمة طيسفون.

وأحلت أعمال الدمار التي ألحقها الروم بأفضل مـــدن إيـــران وهـــروب كسري من مواجهة عدوه ضربة قاتلة بكرامة هذا الشاه الساساني. فـــي هـــذه الظروف كان هرقل يميل إلي الصلح لكن كسري كان رافضاً تماماً الـــدخول في مفاوضات سلام معه. وتسببت هزيمة كسري في تحوله إلي سوء الخلـــق وبدأ مسلك القسوة والفظاظة فألقي بجميع قواده الذين غلبهم هرقل أو فروا من أمامه في السجن بل رام قتل شهربراز نفسه. ونتيجة هذا المسلك الباغي فضلاً عن ميل كسري إلي تولية ابنه من جاريته (شيرين)[2] – واسمه (مردان شاه)

([1]) حين كان كسري يحاصر القسطنطينية ثارت العواصف وهى تـــضرب وجـــوه الجنـــد الإيراني بالتراب وباغت الموت شاهين قائدهم بسبب حزنه وغضب كـــسري عليـــه. (المعرب).

([2]) جاريته السريانية التي صار عشقه لها مضرب المثل في العشق فـــي الأدب الفارســـي بعد الإسلام (المعرب).

عهده انبعث (جردان اسب) قائد قوات العاصمة طيسفون ثائراً عليه وانحاز إلي (شيرويه) ولد كسري يساعده اثنان وعشرون من الأعيان منهم ولدان لشهربراز فقبضوا علي كسري وحبسوه في تاريك خانه – البيت المظلم – حيث كانت خزائنه. وعاش كسري العاثر الحظ أربعة أيام وهو يعاني أشد ألوان العذاب والمصائب (منها قتل مردان شاه وبضعة أولاد آخرين له أمام عينيه) وفي اليوم الخامس قتلوه أبشع قتلة (٦٢٨).

كان كسري برفيز وهو آخر الملوك الساسانيين الكبار يعشق المتع ويحب الفنون ويميل إلي التوسع والاستيلاء، لكنه لم يستطع أن يستفيد من حظه حين أقبل عليه ولما انتكس طالعه أضعف إيران وأعد أسباب سقوط الأسرة الساسانية.

شيرويه:-

يري بعض المؤرخين أن شيرويه لم يكن راضياً عن قتل أبيه واستسلم لهذا الأمر بسبب ضغوط مجمع الأعيان. وحين اعتلي شيرويه العرش كان الشعب الإيراني قد سأم وضاق ذرعاً بحروب إيران والروم. ومع أن آسيا الصغرى وفلسطين ومصر كان لا تزال تحت سيطرة إيران إلا أن أعمال التخريب التي كان ينزلها هرقل كل عام بولايات إيران كان لها أثر كثير السوء علي إيران فكان أول صنيع لشيرويه هو إرساء هذه الحرب وتقرر بعد مكاتبة إمبراطور الروم تخلي إيران عن مصر وفلسطين وسورية وآسيا الصغرى وبين النهرين الغربية وسائر الولايات الرومية التي سقطت فيما بعد بأيدي الجيش الإيراني أثناء الحرب وتترك كل ذلك للروم كما تسلم كافة الأسري الروم ويعيد الصليب المقدس وتحرر الروم الأسري الإيرانيين مقابل ذلك وتقوم بما يلزم لينسحب الجيش الإيراني حافظاً ماء وجهه من الولايات الرومية إلي

إيران.

ومع أن أفول نجم إيران كان واضحاً من أول عام تولي فيه شيرويه الحكم إلا أن (شهربراز) القائد الكبير الإيراني لم يكن راضياً عن هذه المعاهدة. فكان يتلكأ في التخلي عن الولايات الرومية من ناحية كما كان يوثق علاقته الودية بدولة الروم. قام شيرويه في أول سني حكمه بأعمال أخري لاسترضاء الشعب الإيراني من قبيل العفو عن المساجين وإلغاء الضرائب لمدة أعوام ثلاثة والحيلولة دون ظلم الحكام وكان لهذا آثار كثيرة الإيجابية إلا أن هذا الشاه ارتكب جريمة جللت حياته كلها بالخزى والعار وهي أنه بلا أدني سبب ومبرر أهلك جميع أخوته فانتهي بعمله المجحف هذا تقريباً النسل الساسانى. وكما يعرف من عملات ذاك العهد استمر حكم هذا الملك عاماً وبضع العام ومات في ٦٢٩ بالسكتة المخية أو بسبب الطاعون الذي تفشي في البلاد وذكر بعض المؤرخين أن فترة حكمه لم تتعد ستة شهور.

آخر الملوك الساسانيين:-

بعد شيرويه جلس علي العرش ابنه الأصغر أردشير الثالث وعين مجلس الأعيان أحد العلماء نائباً له لكن الخزريين في تلك الأثناء أغاروا علي غرجستان وأرمنية وكانت خيانة (شهربراز) أشد سوءاً إذ تحالف مع هرقل فخلع أردشير واغتصب العرش والتاج ولم يطل الأمر بهذا المغتصب إذ ثار عليه جنوده وقتلوه بعد مضي شهر ونصف شهر من تبوئه العرش ثار في خراسان كسري الثالث حفيد هرمز الرابع في نفس تلك الأيام إلا أن (بوران دخت) ابنة كسري برفيز ولوها العرش ولم تستطع هذه المرأة أن تحول دون الفوضى الضارية أطنابها بالبلاد فتخلت عن العرش بعد عام ونصف العام من حكمها، وحكم (جشتاسبده) أخو كسري الثالث فترة قصيرة ثم آذرميدخت أخت بوران

دخت بأمر الأعيان وفي هذه الأثناء ادعي هرمز الخامس الملك لنفسه وهو في نصيبين[1]. الخلاصة صار عرش إيران وتاجها ألعوبة بيد شخص كل يوم وكان خطر مُدّلهم سنشرحه بعد قليل يهدد استقلال إيران وفي النهاية في (٦٣٢) توج أعيان المملكة يزدجرد الثالث ولد شهريار حفيد كسري برفيز بتاج الملك وفي أيامه سقطت الأسرة الساسانية.

نظرة إلى جزيرة العرب

وقت أن نشب القتال بين كسري برفيز وهرقل الروم وجَرّا بلادهما إلي الضعف كان دين جديد آخذاً في النمو والقوة بجزيرة العرب تحت لواء منـــادي الحق والقبائل العربية تتحد إحداها مع الأخرى فلمـــا أشـــرقت شـــمس الـــدين الإسلامي من جزيرة العرب وفتح المؤمنون به بلاداً متسعة في فتـــرة قـــصيرة أدالوا الأسرة الساسانية واستولوا علي الولايات الرومية في آسيا وأفريقيا ولابد من ذكر مختصر من أحوال جزيرة العرب وسير الأحداث بها حتى يفهم القراء أسباب أنقرا من الأسرة الساسانية وانتصار العرب بنحو أفضل.

الجزيرة العربية:-

بلاد العرب أو الجزيرة العربية إقليم يقع بجنوب آسيا الغربي ويحده من الشمال بادية الشام ومن الشرق خليج فارس وبحر عُمان ومن الجنوب المحـــيط الهندي ومن الغرب البحر الأحمر. ولا يوجد بهذه الجزيرة أو شـــبه الجزيـــرة بوجه أدق أنهار دائمة الماء غير أودية لأنهار صغيرة جارية يصيبها الجفـــاف أحياناً. وبوسط جزيرة العرب صحاري مرتفعة ومتسعة تشكل الشطر الأعظم

([1]) كان هرمز الخامس يدعى الملك في تلك الولاية حتى أول سني حكم يزدجرد ثـــم قتلـــه جنوده. (المؤلف).

لها وينقسم طرفها الغربي إلي قسمين: الحجاز في الشمال واليمن في الجنوب.

وأكبر مدن الحجاز مكة التي يبلغ امتدادها من الشمال حتى الجنوب نحو ميلين وعرضها من الشرق إلي الغرب ميل وليس بها مصدر ماء سوي بئر زمزم، ثم يثرب التي عرفت بعد هجرة الرسول إليها بمدينة النبي. وفي جنوب الحجاز تقع بلاد اليمن التي اشتهرت من القدم بالثروة والعمار وأهم مدنها صنعاء ونجران وعدن. وقد ارتبط اليمنيون في قديم الزمان بالهند والشرق الأدنى وكانت مدينة صنعاء عاصمة ملوك اليمن القدامى وتقع حضر موت في شرق اليمن.

وفي الزاوية جنوب شرقي جزيرة العرب تقع علي ساحل البحر ديار جبلية وتسمي عمان وسكانها عرفها من قديم الزمان بالملاحة. وبين جبال الحجاز وصحراء البحرين تقع نجد وهي جزء مرتفع وبينها وبين اليمن منطقة (اليمامة) المتصلة بالبحرين في الشرق وبالحجاز في الغرب.

ومناخ جزيرة العرب بوجه عام حار وحرارته صحراوية منهكة. ويعتدل الجو بليالي الصيف في الأراضي المرتفعة وتظهر بها الثلوج في فصول الشتاء. وأفضل رياح بلاد العرب الرياح الشرقية التي تسمي (بالصبا) وأسوأها ريح السموم. وسواحل بلاد العرب خاصة سواحل اليمن والحجاز وحضرموت خصبة كثيراً وتنتج محصولات مثل القهوة والكندر والصمغ والصبر وقصب السكر والنارجيل وأشجار الفاكهة.

أحوال العرب الاجتماعية:-

إذا استثنينا بعض مناطق من بلاد العرب كبلاد اليمن فحياة العرب بوجه عام قبلية. كانت قبائلهم في موسم المطر تغادر مواطنهـا بنـسائهم وأطفـالهم ورجالهم لتبحث عن مراعٍ لإبلهم ويمكن القول إنهم لم يكونوا يفكرون في الإفادة بالقوي الطبيعية بجهودهم العقلية ولم يهتموا بالزراعة والتجارة[1] والـصناعة وغيرها. وكانوا يعيشون علي لحوم حيواناتهم وألبانها وينسجون من صـوفها وشعرها ووبرها ثيابهم وإذا احتاجوا شيئاً آخر اقتنوه بطريق المقايضة.

قام النظام الاجتماعي للعرب البدو علي القبيلة وكانت قبائلهم في نـزاع دائم ويغير إحداها علي الأخرى وحيناً كانت بضع قبائل تؤلف حلفاً وتهـاجم غيرها أو تصدّ إغارة أعدائها. مع ذلك لا يلزم أن نتصور أن الحالة الاجتماعية لكافة القبائل العربية كانت تسير علي هذه الوتيرة لأنه كان يوجد فرق عظـيم بين عرب الجنوب (القحطانيين أو اليمنيين) مع عرب الـشمال (العـدنانيين أو النزاريين) فكان عرب الجنوب يتمتعون بنوع من المدنية ولم يكونـوا دائمـي الانتقال والارتحال مثل الشماليين حتى أن لغة أهل اليمن وصـرفها ونحوهـا يفترق عن اللسان الحجازي.

ويعد عرب الشمال أنفسهم منحدرين من إسماعيل بن إبـراهيم الخليـل ويحتسب عرب الجنوب أنفسهم من نسل يقطان أو قحطان. ويـروي أن أهـل اليمن بعد خراب سد مأرب بها تفرقوا في أطراف جزيـرة العـرب، ويعتقـد البعض أن أحد أسباب هجرة أهل اليمن في أرجاء الجزيرة الضعف الذي حـلّ بهم خلال القرن الثالث والرابع قبل الميلاد لأن بحارة الرومان في البحر الأحمر

([1]) كانت التجارة كما ذكر المؤلف بنفسه بعد ذلك مصدر رزق مهم للعرب. (المعرب).

أنزلت ضربة شديدة بتجارة أهل اليمن. أما عرب الشمال فقد هاجروا إلي الجنوب أيضاً بسبب ضيق مواطنهم وكثرة أفراد قبائلهم. وقصدنا من ذكر ذلك هو أن عرب الجنوب والشمال لم ينفصل بعضهم عن الآخر لكن عداءً شديداً كان مستقراً بينهم والخصومة بين العدنانيين والقحطانيين مشهورة في تاريخ العرب ويرجع العداء بينهم إلي تمدن أهل الجنوب وبداوة أهل الشمال. وكان للأوس والخزرج – الذين سكنوا المدينة وكانوا يعدون أنفسهم يمنيين – عداوة شديدة مع عدنانيي مكة.

اتصال العرب بالشعوب الأخرى:-

كان للعرب اتصال وارتباط بالشعوب المجاورة لهم قبل الإسلام وقد تسبب هذا الارتباط في أن يستفيد العرب من حضارة إيران والروم إلي حدّ ما ويطلعوا علي الآداب والأفكار الزردشتية واليهودية والنصرانية وكانت جزيرة العرب هي طريق التجارة بين الشام والمحيط الهندي، وقد تحكم اليمنيون في القدم في تجارة العرب وكانوا يصدرون غلال بلاد العرب وواردات الهند إلي الشام ومصر. وفي القرن السادس الميلادي أمسك عرب الحجاز بناصية التجارة فكانوا يشترون بضائع اليمن والحبشة ليبيعوها في أسواق الشام ومصر.

وكانت تجارة العرب مع إيران بيد عرب الحيرة. ولما أن أغلب العاملين بالتجارة كانوا أعاظم قريش وعلماءها فكانت بالقطع مشاهدتهم للمدن الكبيرة وحضارة دول الجوار تؤثر فيهم إلي حد أن كثيراً من الكلمات الفارسية والرومية والمصرية والحبشية دخلت اللغة العربية عن طريق هؤلاء التجار. ولم يكن اتصال العرب بإيران والروم عن طريق التجارة وحسب بل إن إمارة الحيرة التي كانت تحت حماية إيران والغساسنة في الشام أبتاع الروم تربط بين جزيرة العرب وإيران والروم. فعن طريق عرب الحيرة سرت إلي حد ما

الحضارة الإيرانية في بلاد العرب خاصة أن بعض سكان هذه الإمـــارة كـــان يعرف اللسان الفارسي وبإمكانهم الاتـــصال المباشـــر بـــالإيرانيين والإفـــادة بأفكارهم. كذلك الغساسنة الذين أسسوا إمارتهم في الشام تحت حماية الرومـــان شكلوا جسر انتقال للحضارة الرومية واليونانية إلي بلاد العرب.

أما اليهود فقد انتشروا في جزيرة العرب قبل الإسلام بقـــرون وأســـسوا مستوطنات كان أهمها في يثرب وخيبر. وقد دخل بعض اليهود بـــلاد العـــرب قادمين من خارجها وكان بعضهم الآخر عربي الأصل اعتنق اليهودية. بـــذل اليهود مساعيهم لنشر دينهم في جنوب بلاد العرب وأدخلوا دينهم كثيـــراً مـــن القبائل اليمنية، وعن طريق اليهود انتشرت تعاليم التوراة وعقيدتها في الخلـــق والبعث والحساب والجزاء وغيرها في بلاد العرب ودخل كثير من مصطلحاتها في العربية[1].

وانتشرت التعاليم النصرانية عن طريق النـــصارى خاصـــة الفـــرقتين الكبيرتين النسطورية واليعقوبية وفضلاً عن أن المذهب النسطوري تبعه كثرة من العرب في الحيرة والمذهب اليعقوبي آمن به كثير منهم في غسان فقد كانت مدينة (نجران) مقام النصارى في جزيرة العرب. كان القـــساوسة والرهبـــان يدورون في أسواق العرب ويدعونهم إلي الإيمان بالبعث والحـــساب والجنـــة والنار وقد لقيت المسيحية انتشاراً كبيراً في بلاد العرب بل وآثر بعض العـــرب الرهبنة. وهدفنا من إيراد كل هذا الكلام أن نبين أن حضارة إيران والرومـــان

---

[1] من المعروف أن عقيدة الجزاء والثواب بل والحياة الأخرى وسائر مـــا يجـــرى بعـــد الموت لم يأت ذكرها في الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى بل نقل علمـــاء اليهـــود بعض هذه الأفكار والعقائد عن الزردشتية فإن عرف العرب بها فليس مرجع معـــرفتهم تعاليم اليهودية. (المعرب).

والمذاهب الزردشتية والمسيحية واليهودية قد أثرت في حياة العــرب المعنويــة والمادية قبل الإسلام وأنه لا يمكن الظن أن العرب عاشوا بمعزل عن غيرهم.

ومن المسائل التي يجب أن تؤخذ في الحسبان انعدام الوسيلة لتوحيد قبائل العرب بعضها بالآخر وعداء القحطانيين والعدنانيين وكثرة الخرافات والأوهــام المنتشرة بينهم قبل بعثة الرسول عليه السلام، لهذا كان انتشار الدين الإســلامي فيهم سبب نهضتهم إذ نفخ في جسدهم روحاً جديدة، ولتوضيح هذا الموضــوع تذكر كلمات يسيرة عن سيرة النبي ومبادئ الإسلام.

سيرة الرسول عليه السلام:-

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم من أسرة أصيلة قريــشية ولد عام (٥٧١م) ويروي ابن الكلبي أن عبد الله والد الرسول ولد فــي العــام الرابع والعشرين لحكم أنوشيروان وولد الرسول في العام الثاني والأربعين مــن ملك هذا الكسري. أمه هي آمنة بنت وهب. تيتم في طفولته وسافر في التاسعة من عمره برفقة عمه أبي طالب إلي الشام. وقد ذاعت أمانة محمد بن عبد الله من أيام شبابه حتى أنه عرف باسم محمد الأمين وتزوجت بــه خديجــة أحــد الأرامل العربيات وكانت ذات ثروة بعد أن ابتلت صدقه وأمانته.

وكان الرسول في الخامسة والعشرين حين بني بها وبعث في الأربعــين من عمره وفي العام العاشر من حكم كسري برفيز. وكــان أول مــن آمــن بدعوته زوجه خديجة وعلي ابن عمه وأبو بكر صديقه. وظل يدعو سراً مــدة ثلاثة أعوام ثم أمر بإعلان دعوته بعد ذلك فصار ذلك سبب ثورة قريش ضــده وأصبح أتباعه موضع توبيخها ولومها وغدا فريسة أنواع تعــذيب المــشركين أتباعه الذين لم يكن لهم قوم وعشيرة ولما رأي الرسول هــذه الأوضــاع أذن

لأصحابه بالهجرة إلي الحبشة فاتجهت جماعة منهم إلي ذلك البلـد. وعامـل النجاشي حاكم الحبشة المسلمين بالحسنى وامتنع عن تسليمهم لقريش ورجـع صحابة الرسول من الحبشة إلي مكة لأسباب يخرج شرحها عن حـدود هـذا الفصل.

وقد قوي المسلمين دخول حمزة بن عبد المطلب الإسلام وإيمان عمر بن الخطاب بوجه خاص لكن إسلامهما زاد قريش حقداً وعناداً. وقد تأثرت حيـاة الرسول كثيراً بموت خديجة زوجه وأبي طالب عمه قبل الهجرة بثلاث سنوات خاصة موت عمه الذي كان يحمي ابن أخيه في حياته وكان بسبب مكانته فـي قريش يصون إلي قدر ما الرسول من اعتداء المشركين.

وبعد موت أبي طالب ألحق أعداء الرسول الأكرم به وبأتباعه آذى شديداً وبلغوا أعلي درجات الاستهزاء والسخرية به. وكان الرسول فـي كـل عـام يرغب قبائل العرب ويشوقهم إلي إعلاء كلمة الله ولكن مسعاه لم يجد نفعاً إلـي أن لقيت دعوته قبولاً لدي بضعة نفر من أهل يثرب وأدخلوا بعضاً من أهلهـا الإسلام ووعدوا بنصرة الرسول. بعد هذه الحادثة بدأت هجرة المـسلمين إلـي يثرب فلما علمت قريش بما حدث وخافت من هجرة النبي صمموا علي قتلـه بعد مشاورة. لكن ليلة أن أزمعوا تحقيق مقصدهم نام علي ابن عم الرسول في مرقد الرسول الذي أمر أبا بكر بالهجرة إلي المدينة (عام ٦٢٢م). وقوي أمر الرسول في المدينة فقام بغزوات ضد المشركين أهمها غزوة بدر الكبرى فـي العام الثاني للهجرة وغزوة أحد في العام الثالث وغزوة الخندق أو الأحزاب في العام الخامس وغزوة خيبر ضد اليهود في العام السابع وفتح مكـة فـي العـام الثامن الهجري. وقوي الإسلام نتيجة هذه الغزوات خاصة بعد فتح المـسلمين مكة وتقوض أساس عبادة الأصنام في بلاد العرب.

قام الرسول بالدعوة خارج بلاد العرب ولهذا أرسل بالكتب في العام السادس إلي كسري برفيز وهرقل الروم ونجاشي الحبشة ودعاهم إلي الإسلام. وقد حمل كتاب الرسول إلي كسري برفيز عبد الله بن حُذَافة وكان مضمون مكتوبه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلي كسري عظيم فارس سلام علي من اتبع الهدي ومن آمن بالله ورسوله وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وإني أدعوك بدعاء الله وإني رسول الله إلي الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول علي الكافرين فأسلم تسلم وإن توليت فإن إثم المجوس عليك). فلما قرأ الكتاب علي كسري غضب بشدة ومزقه وكتب إلي (باذان) وإلي اليمن أن يرسل اثنين لإحضار الرسول إلي بلاطه. فأنصاع بأذان لأمر كسري وأمر رجلين لإتمام هذه المهمة. لكن سجن كسري وجلوس شيرويه علي العرش حال دون تنفيذ هذا القصد وكتب شيرويه إلي واليه باليمن بألا يتدخل في أمر الرسول. وبعد فتح مكة وقعت غزوات بين المسلمين والمشركين حضر الرسول أغلبها. وفي شهر صفر من العام الحادي عشر الهجري مرض الرسول وبين تلك الأحوال وصلته أنباء خروج الأسود العنسي في اليمن ومسيلمة في اليمامة وطليحة في بني أسد وعسكر في سميراء ومع شدة مرضه لم يمتنع عن تنفيذ الأوامر الإلهية وإرسال جنده حتى أسلم روحه إلي بارئها.

تعاليم الإسلام وأثرها في العرب:-

أساس الإسلام هو الوحدانية فالله تعالي واحد وخالق كل شئ وكل ما في السموات والأرض منه وملكه وعلمه يحيط بكل شئ وعلي كل شئ قدير. ولا يوجد في الإسلام أي نوع من تعدد الإله وليس الله تعالي إلهاً لقبيلة خاصة أو قوم معينين فهو (رب الناس) و (ملك الناس) ولا شريك له ولا يمكن تصور

وجود إله الخير في مقابل إله الشر في العقيدة الإسلامية.

ومن العقيدة الإسلامية أن الحق عَزّ اسمه اختار من الناس رسلاً وأمرهم بهداية الخلق عن طريق الوحي إليهم. وأصول الأديان السماوية واحدة وقد دعا كافة الأنبياء أقوامهم إلي وحدانية الله وأن وراء هذا العالم المادي عالماً آخر يجازي فيه كل امرئ عما فعل. وبناءً علي ذلك فالإسلام يقوم علي الإقرار بوحدانية الله والاعتقاد بالنبوة والمعاد. ويأمر الإسلام فوق عبادة الله بمراعاة الأخلاق الحميدة وأكرم الناس عند الله أتقاهم. ومن الأوامر الخلقية مراعاة العدل والإحسان والوفاء بالعهد ومساعدة اليتامى والفقراء والصبر في البأساء والضراء والعفو عند المقدرة وقد أشار القرآن الكريم مراراً إلي هذه الأخلاق. وقد أبلغ الإسلام درجة الأخلاق إلي حد أنه لم يجز الدخول في بيوت أخري بدون استئذان أهلها وأوجب رد التحية.

وللإسلام جانب عملي ولا يوجد به رهبانية ولم يحرم الزينة ولم ينه عن الأطعمة الطاهرة وبدهى أن هذا الدين قد أثر تأثيراً عظيماً في فكر العرب وأخلاقهم. كان العرب أيام جاهليتهم يفخرون بقبيلتهم وأنسابهم لكن الإسلام عَدّ المؤمنين جميعاً أخوة واحتسب الأفضلية بمراعاة التقوى وفي النهاية زلزل أساس التعصب العنصري والعصبية القبلية اللذين أوجبا العداوة بين القبائل وأرسي قاعدة الاتحاد بينهم. تعرف العرب إلي القوانين الأخلاقية وهم الذين كانوا يعدون الانتقام والثأر من أفضل الصفات وأدركوا أن العفو والتسامح من الخصال الكريمة وتغير معتقدهم في إله القبيلة أو رب العرب وحدهم إلي الإقرار بإله العالمين ورب الدارين الذي يجازي علي الخير والشر.

ويعرفنا دفاع جعفر بن أبي طالب عن الإسلام في حضرة النجاشي إلي أي حد أثرت تعاليم الإسلام العالية في المسلمين. يقول: (أيها الملك كنا أهل

جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسئ الجوار ويأكل القوي منا الضعيف حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا لتوحيد الله ولا نشرك به شيئاً ونخلع ماكنا نعبد من الأصنام وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وأمرنا بالصلاة والصيام... فآمنا به وصدقناه وحرمنا ما حرم علينا وحللّنا ما أحلّ لنا فتعدي علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلي عبادة الأوثان، فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلي بلادك واخترناك علي من سواك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك).

ودفاع جعفر أمام النجاشي مجلي حقيقة الإسلام في بداية الدعوة. ومع أنه يشك في أن هذه الكلمات كلها قيلت أمام النجاشي لأن الأمر بالصيام لم يكن قد نزل بعد في ذلك الوقت ويعدده جعفر في ذاك الأوان ضمن أحكام الإسلام مع ذلك فيمكن بسهولة إدراك أي هدف كان وراء اعتناق الناس دعوة الرسول في صدر الإسلام وما هي حقيقة هذه الدعوة.

وبدهي أن جزيرة العرب حين آمن أهلها بالإسلام لم تكن تعاليمه متغلغلة بدرجة سواء في نفوس جميع سكانها ولهذا حين بدأ العرب في صدر الإسلام في غزو الأمم الأخرى كان بعضهم يقاتل لأجل نشر تعاليم الإسلام بدافع صدق العقيدة والإيمان وبعضهم الآخر كان يقاتل ناظراً إلي اغتنام الغنائم. وهذا ما يشاهد أثناء حروب المسلمين مع إيران والروم فقد دخّل الجيش الإسلامي مجموعة من البعض الآخر من الغزاة المسلمين.

سقوط الدولة الساسانية

كانت الأسرة الساسانية تطوي مدارج الضعف والزوال حين كانت الخلافة الإسلامية تتشكل في جزيرة العرب. بعد أن أخمد أبو بكر الفتن الداخلية بـــبلاد العرب ولي خالد بن الوليد العراق في المحرم من عام (١٢هـــ). وفـــي تلـــك الأثناء كان المثني بن حارثة الشيباني يرابط بإذن الخليفة في هذه النواحي فلحق بخالد ومعه حرملة وأبو سلمي وعياض بن غنم. فلما بلغت هذه الأخبار هرمـــز القائد الإيراني لهذه النواحي أطلع البلاط بما جري وعجل للقاء العدو ووقعــت الحرب في الحضر وكان أحد الثغور المهمة الإيرانية علي مقربة مـــن خلـــيج فارس. وعرفت هذه الحروب بذات السلاسل. وقتل هرمز في مبارزة مع خالـــد وحاقت الهزيمة بجنوده. ثم جرت حرب أخري بعد ذلك في (أليس) علي ساحل الفرات ولما انتصر فيها خالد قتل أسراه جميعاً في يوم واحد. ثم اتجه خالد إلي الحيرة وآثر قائد هذه المدينة الفرار أمام الجيش العربي بدون أن يدخل في حرب معهم.

وبعد فتح الحيرة لم يَرْضَ خالد بالصلح إلا إذا تزوج شويل أحد العـــرب بكرامة ابنة عبد المسيح وكان يعشقها في شبابه. إن مثل هذه الأفعال طوال حياة خالد تظهر لنا طراز فكره ومسلكه. وفي واقعة (الأنبار) أمر خالـــد جنـــوده أن يستهدفوا عيون أعدائهم فأعموا ألف عين دفعة واحدة ولهذا سميت هذه الحـــرب (ذات العيون) وأجبر نتيجة ذلك شيرزاد علي الصلح، وخف خالـــد بعـــد فـــتح الأنبار إلي (عين التمر) وحين كان عقة بن عقة مشغولاً بترتيب جيشه أحاطـــه خالد بذراعيه متأبطاً له وأسره فركن جيش عقة إلي الفرار دون حرب وتحصن بقلعة بتلك المنطقة فأسر خالد الجميع بلا قتال وقتلهم عن بكرة أبيهم.

وفي السنة التالية (١٣هـــ) ولي أبو بكر خالد علي الشام ومعـــه نـــصف

جيشه وبقي النصف الثاني بالعراق تحت قيادة المثنى. وفي هذه السنة انهزم هرمز جادويه من المثني وانتقل الخليفة أبو بكر إلي الآخرة وخلفه عمر بن الخطاب.

وأعاد عمر المثني وكان قد وصل المدينة أثناء مرض أبي بكر إلي العراق بصحبة أبي عبيد الثقفي وعدد آخر، فأتي المثني الحيرة وبعد شهر واحد لحق أبو عبيد به. وأثار رستم فرخ زاد دهاقنة الفرات أو كبار الملاك الزراعيين علي العرب وحلت هزيمة فادحة علي الجيش العربي في الواقعة المعروفة بالجسر أو (المروحة) علي ساحل الفرات ومات أبو عبيد تحت أقدام فيل وجرح المثني واستطاع العرب بعد نصب شديد وتكبد مقتل أربعة آلاف عبور الجسر شرقاً وكان (بهمن جاذويه) يهم بتعقبهم إلا أن أوضاع بلاط إيران كان علي شاكلة أجبرت بمهن علي التخلي عن همته.

وفي واقعة (البويب) كان الفتح من نصيب العرب وقتل مهران القائد الإيراني. وفي عام (١٤هـ) أرسل يزدجرد الثالث رستم فرخ زاد لمواجهة العرب وكان المثني في تلك الأثناء قد قضي نحبه متأثراً بجراحه التي أصيب بها في حرب الجسر فأرسل عمر سعداً بن أبي وقاص إلي العراق فتجمع بصعوبة في (السواد) أكثر من ثلاثين ألفاً من المسلمين، ونصب سعد خيمته في (القادسية) وردم رستم نهر (العتيق) بالتراب والأخشاب والقصب والكلأ وعبره وصف جيشه أمام الجيش العربي.

في ذلك اليوم لم يكن سعد قادراً علي الحرب فأناب عنه خالد بن عرفطة وجفلت خيول الفرسان العرب أمام أفيال الجيش الإيراني وفرت ومع أن المشاة العرب صمدوا يقاتلون إلا أن جناحي الجيش وقعا في ضيق وشدة فاستهدفت جماعة من رماة السهام العرب بإشارة من سعد وكان يراقب ما يجري ركاب

الأفيال وصرعوهم من فوقها وبهذه الطريقة استطاع العرب دفع هجوم رستم والنجاة من هزيمة محققة وبالجملة كانت خسائر الجيش العربي تفوق خسائر الإيرانيين.

وفي اليوم التالي وصل جيش من الشام لعون العرب وقتل ثلاثة من القواد الإيرانيين منهم بهمن ذو الحاجب وبندوان أثناء المبارزة لكن الحرب لم تسفر عن نتيجة حاسمة. ونبه بضعة نفر من الفارين من الجيش الإيراني العرب إلي أفضل طريقة لدفع الأفيال وهي أن يصيبوا خراطيمها أو عيونها بسهامهم أو سيوفهم. وفي اليوم الثالث أصاب العرب الفيلة بنداً النحو وجعلوهم يفرون من ميدان الوغي واقترب الجيشان وظل القتال بينهما حتى الغروب بالسيوف والحراب ولم يكن النصر لواحد منهما. وبعد الحرب عبر رستم نهر العتيق مشرقاً بهدف إراحة عسكره.

وما يجدر الإلتفات إليه أن جيش رستم تألف أغلبه من جنود حديثي عهد بالقتال وفنونه ولم يبلوا الحرب فأصاب في تلك الأيام القليلة الضعف منهم والنصب كل نصابه. ولما أدرك العرب ما يدور بخلد الإيرانيين وأنهم يميلون إلي الراحة تحت جنح الظلام هاجمت جماعة منهم الجيش الإيراني في ظلمة الليل البهيم وقتلوا منهم عدداً. ويسمي تلك الليلة (ليلة الهرير) أو ليلة القادسية. وفي صبيحة تلك الليلة قلبت العوامل الطبيعية أمر الجيش الإيراني رأساً علي عقب وأنهي القدر حكايتهم بحرب القادسية. ففي أثناء القتال ثارت عاصفة مخيفة وأخذ التراب والغبار وشدة الرياح العاصفة تضرب وجوه الجنود الإيرانيين مولية دبرها عن الجنود العرب ولم يطل الوقت حتى تقهقر هرمزان حاكم شوش وفيروزان.

وفي نفس تلك الظروف الصعبة هبت رياح عجيبة أخري فاقتلعت الخيمة

التي كانت تحمي عرش رستم فاستتر ببرذعة بغلٍ، وظهر عربي اسمه هــلال وبدون أن يعلم من بداخل البرذعة ضرب أحبالها بسيفه فــانقطع شــطر منهــا وأصاب رستم. وفضحت رائحة المسك شخصية رستم فألقي بنفسه فــي نهــر العتيق وتذرع بالسباحة للهروب فتبعه هلال وجذب قدميه وجره إلي الــشاطئ وقتله ثم اعتلي عرش رستم وأخذ يصيح بصوت عــال (قتلــت رســتم ورب الكعبة)[1]. فأثار هذا الصياح رعباً وذعراً بين الإيرانيين فأسلموا قيادهم للفــرار ورمت جماعة منهم بنفسها في النهر وغدت كثرة منهم هدف سهام أعدائهم. أجل كان النصر نصيب العرب ولكن لا يمكن حمله علي شجاعة العــرب أو عجــز رستم بل إن القدر أراد ما حدث ووقع ما كان مقدراً.[٢]

ومن جملة الغنائم التي وقعت بأيدي العــرب العلــم الــشهير المعــروف بالدرفش الكافياني الذي قدر الطبري قيمته بألف ألف ومائتي ألف درهم. وبعــد حرب القادسية سقط الساحل الغربي للفرات بأكمله بيد العرب وقــصد الــبلاط الإيراني تغيير العاصمة ولكنه لم يجد الصلاح في الإقامة في اصطخر أو بمدينة نائية أخري وكان الخوف من تغيير العاصمة أن يدل ذلك علي ضعف الدولــة الساسانية فيزيد جسارة العرب. والعجيب أن العرب انشغلوا بالفتح في أمــاكن أخري بعد حرب القادسية لمدة عام ونصف العام ولم يقم يزدجرد بخطوة جــادة

([1]) هذا يذكرنا بعاصفة القسطنطينية التي ضربت جنود إيران فــي حــصارهم لهــا أيــام كسرى برفيز كما يدلل على أن الله يؤيد بنصره المؤمنين به ويرد على المؤلــف حــين طعن شخصية خالد بعد فتحه للحيرة (المعرّب).

(٢) مع أن المؤلف مسلم والإسلام يعلو فوق النزعات القومية والمحلية إلا أن غُلــو العــصبية الجاهلية فيه كشأن أغلب الإيرانيين يفوق الأخوة الإسلامية، كما أنه يرجع نــصر الإيــرانيين المشركين إلى شجاعتهم ويفسر غلبة العرب المسلمين بمشيئة الله المقدرة وهذا يجانــب الحــق والمنطق. (المعرب)

ضدهم. وحقيقة المسألة هي أن يزدجرد كان غراً غير محنك ويروي أنه ابـن الخامسة عشر وبرواية أخري أنه لم يتجاوز الواحدة والعشرين وكـان يـنقص إيران في تلك الظروف ملك محنك قد بلا الحرب وذاق مرارتها وكان يزدجـرد خلواً من هاتين الصفتين.

وفي عام (١٦هـ) تقدم سعد علي رأس ستين ألفاً إلي (الساباط) وكانـت ذات يوم الطريق إلي المدائن (طيسفون) فأخلي يزدجرد عاصمته بأسـرع مـا يكون وعجّل إلي حلوان (علي رأس جسر ذهاب) وجعلها مقراً له، فدخل سـعد المدائن واستولي علي خزائن آل ساسان وألقي جمال هـذه المدينـة وعظمـة عمارتها وزينتها وتجملها بالعرب البدو في الحيرة وأثار عجب العـرب أيـضاً عرش كسري الذهبي والإثنا عشر عموداً المرمرية والقاعة العظيمـة وسـقفها علي وجه خاص الذي يجسم بروح السماء بنجومها الذهبية وأذهلهـم القاعـات الزاخرة بالذهب والفضة والأحجار الكريمـة والألبـسة ذات القيمـة الغاليـة والسجاجيد الموشاة وكثرة العنبر والعطور والعقاقير.

يروي عن بساطتهم أنهم رشوا الكافور علي طعامهم ظناً منهم أنه ملـح وحاروا في طعمه. وصادفوا في إحدي القاعات بساط كسري (بهارستان) الذي كان يبلغ مائة وأربعين متراً طولاً وثمانية وعشرين عرضاً ونقشت بـالجواهر القيمة أصناف الزهور عليه. طرزت أوراق الورود بالزمرد ووشيت الزهـور باللؤلؤ والياقوت والجواهر الأخرى. وجدوا في الخزينة جواداً ذهبياً لـه سـرج وعنان من الفضة ويزدان بصنوف المعادن النفيسة، كذلك رأوا ناقة من الفـضة باكرتها من الذهب. ووقع بيد العرب علي مقربة من نهر النهـروان صـندوقاً يمتلئ بالألبسة المزركشة والأردية المذهبة ومعها تاج أنوشيروان وأختامه. كما وقع بيد العرب السلاح الخاص بكسري الأول وهو خوذته ودرعـه وأسـلحته

الذهبية المطعمة باللؤلؤ. وأرسلوا بهذه الآثار المصنوعة وخمس الأمــوال إلــي عمر بالمدينة وقسموا ما بقي علي أنفسهم.

بعد دخول العرب المدائن تناهت الأخبار بتجميع مهران جنداً في جلولاء (قرب حلوان) فرابط حسب كتاب الخليفة سعد في طيسفون وتوجه هاشــم بــن عتبة ومعه (القعقاع بن عمرو) واثنا عشر ألف مقاتل إلي جلولاء. وبعد حــرب شديدة جرت بهذه الناحية انتصر العرب وسقطت جلولاء بأيديهم ووقعت أموال ما حواليها بقبضتهم، وصادفوا في واحد من الخيام جملاً مصاغاً مــن الــذهب يركبه راكب من فضة. وبعد حرب جلولاء عجل يزدجرد من حلوان إليه وتقدم كسري الثالث الذي كان يتولى الدفاع عن حلوان لمقابلة القعقاع فانكــسر مــن العرب في قصر شيرين ودخل الفاتحون حلوان والخلاصة أن العرب توســعوا من نينوا حتى حدود شوشتر حتى نهاية عام (١٦هــ).

أما هرمزان الذي كان رئيس أسرة من الأسر السبع الكبار الإيرانية فقــد أغَذّ السير بعد حرب القادسية إلي خوزستان. وفي (١٧هــ) أرسل عتبة والــي البصرة جيشاً إلي شوش وانضم العرب المقيمون في تلك الناحية إلــي الجــيش العربي وانهزم هرمزان في حربين فأجبر علي ترك مدينة الأهواز وشطر مــن أراضي خوزستان.

ومع هذه الفتوحات المتعاقبة فقد كان عمر يخشى الحرب مع الإيــرانيين وقال في مقامين (وردت أن يكون بيننا وبين العجم جبل من نار فلا تصل أيدينا إليهم ولا تصل أيديهم إلينا) لكن ضعف الدولة الساسانية واضطراب الأحــوال الداخلية للبلاد وتنقل يزدجرد من موضع إلي آخر وتنافس القواد العــرب كــل منهم يروم أن يبرز كفاءته ويحوز غنائم جديدة تسبب كل ذلــك فــي اشــتعال حروب أخرى. فقد عبر خليج فارس (علاء) الذي كان يقيم بالبحرين وكــان لا

يعد نفسه أقل من سعد بن أبي وقاص بدون سماح عمرو دخل ولاية فارس فعاجله شهرك بالهجوم وتمكن علاء بشق النفس ومساعدة عتبة حين أرسل إليه نجدة من البصرة أن ينجو بروحه بل يكسب الحرب من شهرك.

وعجز يزدجرد أمام هذه الوقائع وضياع كثرة من مدنه عن الشعور بالراحة فأمر هرمزان وشهرك بمهاجمة العرب وحدث حروب متوالية قرب قلعة شوشتر ودخل المدينة العرب بإرشاد رجل كان يطلب الأمان منهم، فاستعاذ هرمزان بقلعتها وأرسل إلي (أبي سيرة) القائد العربي ما يفيد أنه ومن معه مادام في أجربتهم سهام فلسوف يصمدون إلا إذا أرسلوا به إلي الخليفة ليقضي فيه حكمه. فقبل أبو سيرة هذا الطلب وسلّم هرمزان واقتيد أسيراً وأرسل به إلي عمر[1]. ويعد بعض المؤرخين أن أحداث شوش وقعت في العام العشرين للهجرة.

في هذه الأحوال شيد سعد بن أبي وقاص قصراً عالياً له بالكوفة كان يدير منه أمور الحكم لهذه الناحية وفي نفس الوقت كانت الشكاوي المتوالية من سعد ترد إلي عمر وفي النهاية أمر عمر بهدم قصر الكوفة واستحضار سعد وولي عمار بن ياسر مكانه. وتصور يزدجرد أن عزل سعد سوف يساعده علي استرداد ما ضاع منه كما أن القواد العرب الذين كانوا يميلون دائماً إلي جمع

([1]) طلب هرمزان ماء بحضور عمر فأجابه فجعل يديه ترتعدان وقال أن هيبة الخليفة تمنعه من الشرب فوعده عمر بأنه لن يقتله طالما لم يتجرع الماء فأهرقه هرمزان بسرعة قائلاً: قصدي ألا أمكن الخليفة من قتلي. فغضب عمر فانحاز (أنس) وجمع آخر إلى هرمزان وقالوا لا يحق للخليفة قتله وفى النهاية، أسلم هرمزان وولاه عمر عملاً (المؤلف) يلاحظ في هذه الرواية وفى بعض أسماء العرب شئ من الخلط والخطأ (المعرب).

غنائم جديدة أقنعوا عمر بأن الأسرة الساسانية مادامت قائمة فسوف تظل أملاك العرب علي حدودها في معرض الخطر لهذا السبب مال الطرفان إلي استئناف الحرب.

أرسل يزدجرد في (٢١هـ) من الري في المدائن حاشرين وهذه المدن خراسان وجرجان وطبرستان ومرو وسيستان وكرمان وفارس ليشجعوا حكامهم ويرغبوهم في تجييش الجيوش فاجتمع نحو مائة وخمسين ألفاً يترأسهم فيروزان أحد نجباء إيران وكان قد حضر حرب القادسية أيضاً وربضوا في نهاوند. وكانت خطتهم فتح حلوان وطيسفون ثم تدمير الكوفة والبصرة وهما أهم تحصينات العرب علي حدود إيران. وبناء عن أمر عمر جمع النعمان بن مقرن القائد العربي في الأهواز قوات العراق وخوزستان والسواد واقترب بهم إلي نهاوند. وكمن فيروزان في حصن منيع بهدف إرهاق العرب.

ولما انقضي شهران علي هذه الوتيرة فكر العرب في خدعة ليستدرجوا فيروزان إلي المواجهة وقامت حيلتهم علي أنهم أذاعوا شائعة مفادها أن عمر بن الخطاب انتقل إلي الدار الباقية وفكوا علي عجل خيامهم وبدأوا في الانسحاب. فبرز فيروزان من مكمنه الحصين وتبعهم. وفي اليوم الثالث جرت حرب ضروس وقتل النعمان خلالها ومع ذلك انتصر العرب في موقعة يسمونها (فتح الفتوح). وقعت بأيدي العرب غنائم لا حصر لها منها صندوقان كبيران مملوءان باللؤلؤ والزبرجد والياقوت دل إيراني مقابل بقائه حياً سائب بن الأقرع عليهما. وقتل عدد عظيم من جند فيروزان الذي قتل هو أيضاً في همدان علي يد القعقاع وسقطت همدان بعد نهاوند بيد العرب.

بدلت حرب نهاوند أمل يزدجرد إلي قنوط لكن هذا الملك الساساني لم يقعد عن المطالبة بتاجه وعرشه وسعي طوال حياته سعياً حثيثاً لعل شيئاً مما يصبو

إليه يتحقق. وبعد أن بلغته أخبار حرب نهاوند ذهب إلي أصفهان مـــن الـــري ومنها إلي كرمان وفي النهاية استقر بمرو واستنجد بالدول المجاورة له. كـــان أمير الصغد مستعداً لمعاونته في البداية لكنه غضب بعد ذلك منه فتحـــالف مـــع حاكم مرو الإيراني وهو (ماهوى) ونبهه إلي نيتهما الحراس فلم يجد يزدجـــرد مناصاً من ترك مرو ثم قتل علي يد طحان بالقرب من تلك الناحية بعد أن طمع في ردائه الفاخر[1].

وطلب فيروز الثالث ولد يزدجرد معونة ملك الصين لكنه لم يجب طلبتـــه فاختفي في جبال طخارستان (قرب جيجون) وظل يطالب بدون جدوى بتاجـــه وعرشه. والخلاصة أن أعقاب يزدجرد لم يحققوا شيئاً وسقطت مدن إيران تباعاً بيد العرب وبدأ عهد جديد.

([1]) لعل قتل يزدجرد كان نتيجة مؤامرة وحكاية الطحان ملفقة.

المذاهب في أيام الساسانيين

١- زردشت ودينه "عبادة أهورمزدا" (مزديسنا)

بما أن دين زردشت قد غدا المذهب الرسمي للعهد الساساني فسوف نذكر مجملاً من سيرة مؤسس هذا الدين وأساس عقيدة (مزديسنا) أو عبادة الله فيما يلي.

لا ندري في الحقيقة تاريخ ظهور زردشت بل أن الروايات ينقض بعضها الآخر إلي حد أن بعض الباحثين يشكك أصلاً في وجوده إلا أن البحوث الأخيرة للعلماء وتتبعاتهم العميقة التي بذلوها في هذه المسألة لا تبقي مجالاً للشك في أن زردشت كان له وجود تاريخي وليس وليد الأسطورة. في الأبستاق – الكتاب المقدس للزردشتية – ذكر أن اسم هذا الرسول الإيراني القديم هو (زرتشترا) وهذا الاسم مركب من جزئين هما (زرت) و (أشترا) التي تعني (اشترا) أو (شتر) بمعني الجمل ولكن كلمة (زرت) لم يقفوا علي معناها. وعدّ البعض معني (زرتشترا) بمعني (صاحب الجمال الذهبية) وفسرها آخرون بأنها (صاحب الجمال الصفراء) علي أي حال لا يزال معني هذا الاسم خافياً حتى اليوم[1].

واختلفت الآراء حول تاريخ حياة زردشت وما يثير العجب أن هردوت

---

(1) للمعرب بحث بعنوان (بين إبراهيم وإسرائيل وزردشت) نشر بالقاهرة (١٩٩٢) وألقى في ندوة بمركز الدراسات الشرقية بنفس العام ذهب فيه بعد أدلة تاريخية ولغوية إلى أن (زردشت) من كلمتين (زورا) أو (هورا) و (أهورا) بمعنى الخلاق وعربت (أسرا) وتعنى (اَبِرْا) أما (دشت) بمعنى (دوست) و (ايل) و (هيم) أو (خيم) بمعنى الخليل والكلمات الثلاث بمعنى واحد هو (خليل الله) ولبنى واحد هو إبراهيم عليه السلام (المعرب).

المؤرخ اليوناني الذي سافر إلي إيران واكزنفون الذي رجع بعشرة آلاف يوناني من آسيا إلي اليونان لم يوردا ذكراً لزردشت. صـــحيح أن بعـــض المـــؤرخين القدامي مثل أكزانتوس ديسارد الذي كان يعيش في عهد أردشير قبل هـــردوت وأن هيرميبوس الذي عاش قبل الميلاد بمائتي عام وكتزياس قد ذكرا زردشـــت لكن من أسف لم يصلنا ذكرهما له بنص كلماتهما فمثلاً ذكر أكزانتوس له رواه (ديوجين لورسه) في عهد الكساندر سيفير وما قاله هيرميبوس وصلنا بروايـــة بلين Pline وما قاله كتزياس في زردشت وصلنا عن طريق ديودور الـــصقلي لهذا فلا يجب الثقة كثيراً بأقوالهم.

إذن فمعلومات المؤرخين اليونان واللاتين بشأن زردشت مجرد أســـاطير حيكت حوله ولهذا السبب فلا تستحق الاعتماد عليها فمثلاً ذكروا أن زردشـــت ظهر قبل الميلاد بستة آلاف عام وهذا التاريخ لا يمكن الوثوق به.

وتثبت الجاثات أقدم أجزاء الأبستاق أو الأفستا واللغة التـــي كتبـــت بهـــا أناشيد الجاثات أنها ترجع إلي أوائل الحكم الأخميني علي الأقل وهـــذا التـــاريخ ينطبق تماماً علي النص البهلوي (بندهش) الذي جعل حياة زردشت بين القرنين السابع والثامن قتل الميلاد[1].

ولد زردشت في آذربايجان وكان إذناك جزءاً من ولايات (ماد) ومركزاً للمغان أو رجال الدين الزردشتي واضطر زردشت إلي الهجرة إلي شرق إيران وآمن بدعوته جشتاسب. ويعتقد (انكتيل دي برون Anquetil de Perron) أن

---

(١) الجاثات نحلت على الأبستاق والأبستاق نفسه لم يحفظ على عهد زردشت بل بعده الـــزمن وما بقى عنه هو الربع فقط، وشروح هذا الكتاب بجملتها وضعت بعد ظهور الأخمينيـــين فـــي الأغلب وجعلت تاريخ ولده قبلهم بقليل لتأكيد أنه نبي إيراني لم يظهر إلا بعد هجـــرة الآريـــين إلى المنطقة التي سميت باسمهم وعرفت بايران. (المعرب).

جشتاسب هذا هو ويشتاسب وويشتاسب هو أبو دارا الكبير الذي كان والياً عـــن شاهنشاه إيران في حكم شرق إيران.

وجاء ضمن الروايات البارسية أن زردشت من أسرة (سيتاما) وكان أبوه (پوروشسب) من أهل آذربايجان وأمه (دغدو) من سكان الرى. حاول الـــسحرة عبثاً أن يقتلوه وهو طفل وفي سن العشرين شعر بأنه مكلف بالرسالة فآثر العزلة وفي الثلاثين من عمره تجلي له علي شاطئ نهـــر (دايتيـــا) فـــي آذربايجـــان (أمشـــپند بهمن فهومانو) بمعني ملاك (الفكر الطيب) فأخذ يبشر بدينه الجديـــد لكنه لم يحقق هدفه إذ عاداه العلماء الدينيون في تلـــك الأيـــام والـــذين ذكـــرهم الأبستاق باسم (كافى) أو (كارابان) عداءً شديداً حتى أمره (أهورمزدا) بالـــسفر إلي قصر ويشتاسب أو جشتاسب، فأدخله دينه بعد عـــامين أمـــضاهما بمـــشقة ونصب في إقناعه وكان عمره يومذاك اثنين وأربعين عاماً. وورد في الجاثـــات أن جاماسب وزير جشتاسب وأخاجاماسب من بين المدافعين عن زردشت فضلاً عن مستشار الملك (فراش أو شترا)، وبعد دخول جشتاسب الزردشتية انتشرت في ربوع البلاد.

ويجدر التريث في مبلغ صحة هذه الروايات لكنها تقترب إلي اليقين بحكم أن مصدرها وهو الجاثات كانت تتلي في ظهر الحكم الأخميني وبلسان زردشت

نفسه أما سائر أجزاء الأبستاق فهي آثار أكثر جدَّة. وكما يفهم من الجاثات فقد كان الهدف من رسالة زردشت القضاء علي المعتقدات السابقة بشكل نهائي بل تنقيتها وتطهيرها من الخرافات والأوهام والقضاء علي السحر والشعوذة التي راجت في تلك الأيام. وكان الإيرانيون قبل ظهور زردشت يعتقدون بمبدئين هما أن العالم قائم علي نظام أو قانون وبه مظاهر طبيعية والثاني أن به نزاعاً دائماً بين قوي المختلفة للنور والظلام.

لم ينقض زردشت هذين المبدئين فنري الحرب بين قوي الخير والشر محتدمة في مذهبه ويمثل الخير (اسپنتا) ويمثل الشر انجرا (أهريمن) ويعلوهما معاً أهورامزدا. ويعد بعض الباحثين أهريمن مقابلاً لأهورامزدا ويعتقدون أن زردشت كان يؤمن بالثنوية أو ثنائية الإله أي يعتبر أولهما إلهاً للشر والثاني إلهاً للخير، علي أية حال فالعالم في نظر زردشت هو محل للصراع بين الخير والشر سواء كان أهريمن في مقابل أهورامزدا أو مقابلاً لأسپنتا. وكل ما هو طيب جزء من جيش الخير وكل ما هو خبيث من جنود الشر، والمخلوقات من حيث الفطرة أما جزء من فريق الخير أو بعض من مجموعة الشر ماعدا الأنسان الذي يملك الاختيار ويمكنه أن يكون بحريته واختياره من أتباع أهورا أو من جنود أهريمن. والواجب المنوط بالزردشتي هو أن يقاتل جند أهريمن قدر طاقته أي يتورع عن الكذب ويعمر الخراب ويحيي الأرض البائرة وينأي عن النجاسة ويقضي علي الحيوانات المؤذية ويربي الحيوان النافعة الأليفة أي يعلي رايات أهورمزدا في كل مكان. وتقوم الأخلاق في المذهب الزردشتي علي (القول الطيب) و (الفعل الطيب) و (الفكر الطيب). وكما يلاحظ فإن دين زردشت دين إيجابي عملي وكلما كان المرء أبلغ سعياً في أعمال الخير كان أقرب إلي الله (أهورا).

يأتي القدسيون أو المقدسون الخالدون أو الـــ (أمشيندان) تحت أمر أهورا وهؤلاء ليس لهم وجود خارجي وهم صفات الله، وقوامهم ومعانيهم كالتالي:-

١. فهو من (بهمن) بمعني الفكر الطيب.

٢. أشا فهشتا (أرديبهشت) أي أفضل التقوى.

٣. خشاترا فيريا (شهريفر) أي الملكوت المنظور.

٤. سپنتا أرمايتي (سپندارمذ) أي البذل الكريم.

٥. هرفادتات (خرداد) أي الصحة.

٦. أمرتات (مرداد) البقاء الأبدي.

هذه الأمشيندات[1] تحمي الموجودات المختلفة: فهومن أو فهومانو يحمي الحيوانات الأليفة وأشافهشتا يرعى النار والملاك الثالث هو حامي المعادن والرابع راعي الأرض والخامس والسادس يرعيان الماء والنبات.

ويلي هذه الأمشيندات موجودات أخري هي الـــ (يزتات) واليـزت هو المستحق للعبادة وقد تحرفت هذه الكلمة بمرور الزمان إلي (ايزت) و (ايزد)[2]، وكل يوم من أيام الشهر له اسم واحد من هذه اليزتات ومن بينها النار والشمس والنور والقمر. أما الـــ (فرافشى) فهم ملائكة توجد بالسماء قبل ولادة الإنسان وتتحد بروحه بعد موته.

ولأهريمن مخلوقات أيضاً مناقضة منها الفكر السيئ والكذب والعصيان. وتدور الحرب بين الخير والشر حتى يوم القيامة لكن أهريمن وجنده تحل عليهم

([1]) هي الملائكة المقربون في الديانات الإسلامية الثلاث (المعرب).

([2]) ولأجل معناها تطلق أيضاً على الله لأنه المستحق للعبادة على الحقيقة (المعرب).

في النهاية الهزيمة والنكبة.

ويعتقد أتباع زردشت بخلود الروح ويرون أن روح الإنسان بعد أن تفارق بدنه تدور لثلاثة أيام حول البدن وتشعر بالسعادة أو الشقاء مثلما كان حالها وهي فيه بالدنيا. ثم تحملها الرياح فإذا وصلت أمام صراط أو جسر (تشنفات) يـزن ثلاثة من اليزتات أعمالها التي قامت بها في الدنيا. بعد ذلك عليها أن تعبر ذلك الجسر المذكور الذي ينعقد فوق جهنم. ويتسع هذا الصراط أمام الأبرار ويسهل عبورهم له ويضيق أمام الأشرار وفي النهاية تنزلق قدم الشرير فيسقط في أعماق الجحيم التي يسودها الظلام. أما أرواح المتقين فتدخل بعد عبور الصرابط في النور الأبدي وأفضل موضع بالعالم أي (أنهوفهشتا أو (بهشت) أي الجنة. ومن تساوت أعمالهم الخيرة والفاجرة يدخلون في الأعراف أو الـ (همشتجان) وتعني (مأوي الأوزان المتساوية).

وسوف يظهر آخر الزمان مخلص العالم (شوشيات) فيعيد خلق العالم بعد القيامة ويغطي وجه الأرض بطبقة من المعدن المصهور فيطهرها. ثم تدور من بعد ذلك آخر الحروب بين أهورا وأهريمن (الخير والشر أو النور والظلام) وينهزم أهريمن وجيشه هزيمة تامة.

الفرق الزردشتية المختلفة:-

أرشير بن بابك هو الذي روح الزردشتية في العصر الساساني وقد جعلها الدين الرسمي للدولة في عهده إلا أن فرقاً أخري أخذت تظهر بالتدريج غير المذهب الشرعي الذي اعترف به رسمياً. يذكر الشهرستاني المؤلف المشهور الذي عاش في القرن الثاني عشر بعد الميلاد (السادس الهجري) ثلاث فرق زردشتية مختلفة الأولي هي التي اعتقدت عقيدة الزردشتية الشرعية أي لم

يبتدعوا في عقيدتهم شيئاً يخالف ما قال به زردشت أو أهل السنة منهم، ثم الزروانيون الذي كانوا يقولون أن زروان وهو الزمان غير المحدود هو الأعلى من أهورا وأهريمن، وهذه العقيدة جزء من الوحدانية لأنهم يعتقدون أن أهورا وأهريمن صدرا من إله واحد هو زروان وعلي ذلك قام مذهب الجيومرثيين الذين اعتقدوا أن أهريمن ظهر من شك أهورا.

٢- المذاهب الأخرى

ماني ومذهبه:-

ولد ماني كما يذكر هو نفسه عام ٢١٥م بقرية ماردينر قرب بابل وأوحي إليه في سن الثالثة عشر وفي الخامسة عشر أُمر بأن يبشر بالدين الصحيح. وورد بفهرست ابن النديم أن أبا ماني هو (فوتتق بابك بن أبوبزرام). ظهر في البداية ملاك ومنعه من أكل اللحوم وشراب الخمر والنكاح. وكان أبو ماني عضواً بجماعة الصائبة فأدخل ابنه أيضاً هذه الجماعة. ولم يطل الوقت حتى ظهر لماني (ملك التوأم) ونتيجة ذلك بدأ الدعوة التي قامت علي ثنوية أكثر إحكاماً من مذهب الصائبة الذين كان العرب يسمونهم المغتسلة لكثرة غسلهم. وكانت مذاهب التصوف العرفاني المختلفة رائجة في بابل وقام بعض من هذه المذاهب علي عقيدة ألوهية النور والظلمة وعمل أتباعها بالتنجيم والسحر وتربي ماني وسط هذه المذاهب والمشارب المتنوعة.

يري ماني أن الشر أزلي أي كان له وجود دائم وفي العناصر كالهواء والتراب والنار طبيعتان هما الخير والشر وكذلك الإنسان له روحان شريرة وخيرة. كما أن الفكر والعاطفة والشعور علي هذين القسمين النور والظلمة. وما هو نوراني يولد الرحمة والإيمان والصبر والتعقل وما هو ظلماني يصدر الحقد

والشهوة والغضب والحمق. ويقف بمواجهة إله الخير إلـــه الـــشر أو الـــشيطان وملكه أبدي حين صمم الشيطان علي الاستيلاء علي الممالك النورانية ففزع من هجوم الظلمة حماة عالم النور وهي الشعور والعقل والخيال والفكر والإرادة لهذا خلق إله الخير الحياة وظهر منها الإنسان الأول فأهبطه الشيطان إلـــي الأرض فاختلط الشر فيه بالخير وتعلقت الروح بأمر إله الخير بالإنسان الأســـير لكـــي تخلصه.

وفي يوم سوف يسقط هذا العالم في أعماق جهنم بسبب حادثـــة عظمـــي وتغلي عناصره وتجيش كمحتويات الإناء ثم ينصب حجر عظيم فـــوق جهـــنم تتعلق به أرواح الآثمين وينفصل الخير عن الشر ويقف حائلاً بينهما سدّ عظيم.

لم يؤمن ماني بالتوراة لكنه قبل الإنجيل وشروح (سان بول) أو القـــديس بولس واعتبر ماني نفسه المخلص الذي بَشَّرَبه المسيح. وكانت المراتب المذهبية لماني تتمثل في اثني عشر إماماً واثنين وسبعين مختاراً أو صديقاً ثـــم ســـائر المؤمنين الذين يسمون المستمعين. عين ماني خليفته وأوصي به ومحتمـــل أن سائر الأئمة كان كل منهم يعين نائبه لكن الصديقين كان ينتخبهم المؤمنون بهذا المذهب.

كان أتباع ماني يجتمعون أيام الآحاد ويتلون أناشيدهم المذهبية ويقرأ رجل عليهم كتاب ماني المقدس فيستمعون إليه بكل إجلال واحتـــرام ولهـــذا ســـموا المستمعين – أو السماعين. وعلي الأئمة والصديقين مراعـــاة الزهـــد والـــورع بأقصى درجة فلا يحق لهم أكل اللحوم وشراب الخمر ويحظر عليهم المـــساس بحياة أي مخلوق من الحيوان والنبات وعليهم اعتزال النساء. أما السماعون فلا يكلفون بمراعاة هذه الأحكام، وما عليهم إلا اجتناب عبـــادة الأوثـــان والكـــذب والبخل وسفك الدم والزنا والإلحاد، ولهذا السبب يسلك الصديقون بعـــد مـــوتهم

طريق الجنة أما السماعون ينتقلون من جسد إلي آخر حتى يوم الحشر.

كتب ماني مؤلفات كثيرة وأقدم مؤلفاته بالبهلوية وقدمه إلي شابور الأول وسائر تأليفاته الأخرى بالسريانية. ابتكر ماني نوعاً من الخطوط استمده من الأبجدية الآرامية ولكي يوضح آراءه بنحو أفضل بحيث يفهمها الخاصة والعامة زين تأليفاته بصور جميلة ولهذا شهرماني بالنقاش والرسام وتجسم هذه الصور قوي النور والظلمة.

انتشرت تعاليم ماني انتشاراً واسعاً وذاعت تأليفاته في أرجاء بابل والشام وفلسطين وشمال بلاد العرب وراجت عن مصر في شمال أفريقيا وترجمت إلي اللاتينية وأخذ بالتدريج عدد كبير يعتنق مذاهبه في كل هذه البلاد بل وفي أسبانيا وجنوب فرنسا وإيطاليا كما شاع مذهبه في التركستان حتى حدود الصين. ويتفق المؤرخون المسلمون علي أن شابور الأول اعتنق مذهب ماني وأمضي عشرة أعوام متمسكاً بهذا المذهب لكنه انصرف عنه وارتد إلي عبادة أهورا كما دعا إليها زردشت وبسبب هذا أجبر ماني علي ترك إيران والهجرة إلي كشمير ومنها توجه إلي التركستان والصين وراسل أتباعه الذين كانوا يقيمون في أماكن مختلفة. وبعد موت شابور عاد ماني إلي إيران وأصبح موضع اهتمام هرمز لكنه قتل فيما بعد في عهد بهرام الأول. ويشك في رواية سلخه حياً. علي أي حال ملئ جلده بعد موته تبناً وصلب علي عمود خشبي في جندي شابور (٢٧٥م).

وكما هو ملاحظ فإن مذهب ماني خليط من الزردشتية والمسيحية فقد اعتقد ماني بنبوة زردشت والمسيح ومع هذا فيبدو خلاف مهم بين مذهب ماني وتعاليم زردشت. ففي مذهب زردشت يمثل هذا العالم الكائن عالم الخير ولابد من التعلق به لأن مظاهر انتصار الخير علي الشر في هذا العالم موجودة ولكن

ماني الذي يعتقد بامتزاج الخير بالشر يشترط تخليص النفس من هذا العالم. وفي رأي زردشت يجب علي المرء أن يحيا حياته الطبيعية ويتزوج وينجب أطفالاً ويهتم بأمور الزراعة وتربية الحيوان ويهتم بجسده ويقويه ومجرد القيام بهذه الواجبات محاربة لأهريمن، لكن ماني أمر أتباعه بالرهبنة إذ حَرّم الزواج علي الصديقين وعليهم صيام سبعة أيام من كل شهر كما أمرهم بكثرة أداء الصلاة وكثرة السجود.

مزدك ومذهبه:-

ولد مزدك بن بامداد في نيسابور ولا يختلف اعتقاده الديني كثيراً عن عقيدة ماني لأنه قال بقوي النور والظلمة (الخير والشر). فيري أن النور عليم وحساس وأعماله تتم بالحرية والاختيار علي النقيض من قوي الظلام العمياء والجاهلية وقد حدث الامتزاج بين هاتين القوتين بالصدفة أي ظهر امتزاجهما خبط عشواء. تشكل العالم من ثلاثة عناصر هي الماء والنار والتراب وصار امتزاج هذه العناصر سبب الخير والشر، تشكل الخير من الأجزاء الصافية الطاهرة لهذه العناصر ونتج الشر من أجزائها النجسة الخبيثة. وتشبه مراتب العالم العلوي عند مزدك مراتب العالم السفلي فقد اعتلي الله عرشه كالملك الكبير ووقفت أمامه قوي الفكر والشعور والحافظة والسعادة وتتعهد هذه القوي الأربع بإدارة أمور العالم عن طريق سبعة وزراء [١]ويتحرك هؤلاء الوزراء في باطن اثني عشر وجوداً روحانياً ومن اجتمعت في شخصه القوي الأربع والوزراء السبعة والموجودات الإثنا عشر كان مظهر الله علي وجه الأرض. وفضلاً عن هذه العقائد الفلسفية عند مزدك فله نظرية اشتراكية والتي سلف شرحها ضمن

تاريخ قباد وأنوشيروان[1].

وفيما يتعلق بالمذاهب الأجنبية التي كان لها أتباع بإيران في عهد الساسانيين فلسوف نشرحها في نهاية هذا الفصل.

([1]) لم يشرح المؤلف نظرية مزدك الاشتراكية كما زعم لهذا نورد إيجازاً لها: انطلقت نظريته الاشتراكية من رأيه الديني القائل بامتزاج الخير والشر ومن الشر تولد الحقد والعداوة وأصلهما ناشئ من الميل إلى المرأة وحب المال فلابد أن يكون المال والمرأة ملكاً مشاعاً للجميع لا يقتصر على امرئ بعينه. وما إن سمع عامة إيران المحرومون من الزواج والمال بهذه الدعوة حتى ثاروا فنهبت قصور الخاصة وانتهكت حرماتهم وكانت النتيجة أن امتلأت شوارع العاصمة باللقطاء واختلطت الأنساب خاصة بعد أن أحرقوا كتبها وذلك أواخر عهد قباد فكان على ابنه كسري أن يستأصل أسباب ثورة مزدك وهو الفقر الذي دفع إلى الحقد. فشجع الزراعة وزوج الفقراء وحاول أن يسترضى العامة (المغرب).

النظم الساسانية

هيكلة الإدارة – الجيش – الضرائب

الأمور القضائية – الأوضاع الاجتماعية وغيرها

تمركز الصلاحيات:-

كما أشرنا في الفصل الثاني حكم أغلب إيران بعد هجوم الإسكندر وفي عهد الأشكانيين ملوك الطوائف ومع ما كان للملوك البارتيين من قوة كاملة كان رؤساء بعض الإيالات والولايات نصف أو شبه مستقلين ولا يتحدون ويتحالفون مع الملوك البارتيين إلا في أوقات الخطر. فأزمع آل ساسان الذين كانوا يعدون أنفسهم خلفاء للأخمينيين على إحكام قوة العاصمة كما فعل دارا الكبير وإنهاء الفوضى السياسية التي خلفها الحكم السلوقي والبارتي. يقول أردشير بن بابك (قررنا ألا نمنح لقب الشاه لواحد فقط في بلاد أجدادي). صحيح أن بعض حكام الولايات لقب بالشاه في عهد آل ساسان لكن هذا اللقب لم يك غير لقب فخري فلم يكن لهؤلاء الشاهات الحق في تكوين جيوش خاصة بهم أو أن يورثوا مناصبهم لأعقابهم.

على هذا النحو انقضَّ أساس حكم ملوك الطوائف ورضخ الولاة طوعاً أو كرهاً فبذلوا أقصى جهودهم لإحكام أساس حكم آل ساسان في مجالات إدارة البلاد وهيكلتها والقضاء والضرائب وأقروا بالمذهب الزردشتي ديناً رسمياً وعدوا أنفسهم ناشرين لأحكامه ومنحوا لهذا المقصد رجال الدين الزردشتي مزيداً من النفوذ.

الشـــــاه والبلاط:-

منح الملوك الساسانيون لأنفسهم كامل التصرف والقوة في بلادهم الواسعة ولا يتصور أن يوجد علي أيامهم مجلس للأعيان ورجال الدين مثلما كان الحال في العهد الأشكانى. كانت السلطنة عند هؤلاء الملوك الذين كانوا يعدون أنفسهم مظهر الكمال وديعة إلهية فوضها الله إليهم ليحكموا علي عباده لهـذا لـم يكـن يتصورون أن إرادة يمكنها أن تعلو إرادتهم إذ كانوا يزعمون أنهم يتملكون دون غيرهم (المجد الملكى) أو (المجد الإلهى) فترأسوا جميع الطبقات حتـى طبقـة رجال الدين. ومع كل هذا توفرت أدلة علي أن سلوك هؤلاء الملوك الأقوياء لم يكن بدافع ميولهم وإرادتهم أو بسبب أهوائهم ورغـائبهم لأن مراعـاة أحكـام المذهب الزردشتي الذي جعلوه مذهب بلادهم الرسمي كانـت كتابـاً مفروضـاً عليهم وكانت طبقة رجال الدين ذات النفوذ الكبير مكلفـة بتنفيـذ أحكـام هـذا المذهب.

ومع أن الشاه كان ينتخب رئيس المؤابدة إلا أن تعيين سائر رجال تلـك الطبقة كان من صلاحيات رئيس المؤابدة لذلك تمتع بنفوذ عظيم في بلاط الشاه إلي حد أنه يمكن القول إنه كان يتحكم في مكنون ذات الـشاه. ومـن الناحيـة الأخرى كانت طبقة العظماء والأحرار التـي تـشكل طبقـة أعيـان المملكـة ويجتمعون وقت تتويج الملك الجديد ويسمعون خطبته تتمتع بنفوذ عظيم وكانوا حينا يخلعون الشاه من السلطة. وقد اتصف الملوك الساسانيون بكونهم عقـلاء وعادلين ومحببين للرعية وكانت أخلاقهم الحميدة هذي تجد إلي حـد مـا مـن استبدادهم. وفضلاً عن ذلك فقد كان الملوك حين تدلهم الأحوال يقضون أمورهم بناء عن المشورة والشورى.

كان الملوك الساسانيون يحيون في جلال وعظمة كاملين ولم يكن بمقدور

أعاظم الناس لقياهم وجهاً لوجه فقد كان ستار يحول دون الواحد منهم وأقــرب العظماء إليه ويتولى رفع الستار موظف يسمي خُرّمباش). وحينما كــان يحــب الملك استقبال خاصته فقد كان (خرم باش) هذا يأمر أحد غلمانه بالصعود إلــي أعلي القصر ويهتف بهذه الجملة (راعوا ألسنتكم فأنتم الآن في حضرة الملــك) وكان هذا التقليد مرعياً كذلك قبل انعقاد المجالس الرسمية أو خلال الاحتفــالات وكان رجال البلاد يصطفون كل حسب مقامة ورتبته ولا يملكون خطابــاً فــي حضرته ثم يأمر الخرم باش بإنشاد قطعة شعرية أو عزف لحن موسيقى(١).

وفي أيام الساسانيين كان الموسيقيون موضع اهتمام الملوك حتــى أنهــم كانوا يصحبونهم في رحلات صيدهم وقد زاد حدب كسري برفيز عليهم حتــى أنهم دعوا لإحياء حفل افتتاح سد دجلة. ولا يزال اسم المغني والملحن المعروف باربد (فهلبد) حتى اليوم يتردد علي الألسنة وتــروي القــصص فــي مهارتــه الموسيقية منها أن كسري هذا كان له جواد اسمه (شبديز) وحكم بقتل من يبلغه موته. وحدث أن مات هذا الجواد في مرو ولم يجرأ واحد من رجال البلاط علي إخبار الملك بوفاته فالتمسوا من باربذ إخبار الملك بموت جواده الغــالي. فبــدأ باربذ الغناء بصوت حزين في حضور كسري فأثر فيه إلي حدّ أن الملك صــاح فيه (واهاً عليك كأن شبديز مات) فقال باربذ: (قد خرج هذا الكلام أولاً من فــم الشاه) وبهذا النحو نجا من القتل. ويمكن إدراك مقام صنعة الموسيقي في تلــك الأيام من خلال أسماء المقامات والآلات الموسيقية التي خلفها العصر الساساني.

---

(١) يلاحظ أن الإيرانيين هم أساتذة العالم في البروتوكولات والمراسم التي يتحــتم مراعاتهــا في اللقاءات الخاصة والرسمية وقد نقل عنهم هذه الرسميات الأتراك وبقى مــنهم فــي العــالم جوهرها. وما كان يتم من قواعد فرعية عند لقاء الشاه الساساني لا يــزال معمــولاً بــه فــي استقبال الضيوف الأجانب ولقاء الرؤساء. (المعرب)

كان الملوك الساسانيون يحبون الصيد بإفراط فأنشأوا الحـدائق الواسـعة التي كانت ترعي فيها أنواع الحيوان حتى الأسود والنمور والدببة وكان الملوك يمارسون هواية الصيد في كثير من الأحايين في هذه الحدائق المتـسعة. مثَّـل قصر آل ساسان نموذج عظمتهم ولا تزال خرائب القصر الأبيض الذي شـيده كسري الأول تدل علي جلال حكمهم وجمال معمارهم. أما (طاق كسري) فبـه مائة وخمسون نافذة مدورة يبلغ قطر الواحدة منها مـا بـين (١٢) إلـي (١٥) سنتيمتر كان نور كالسحر ينفذ من خلالها فيملأ كل القصر. وكان تخت الملـك يقع بنهاية القصر فإذا ارتفعت عنه الستائر وشاهد الحضور الملك جالسا بلباسه الفاخر غارقاً في الجواهر معتليا عرشه الذهبي وقد تتوج بتاج السلطنة المـزين بأنواع اللآلئ والجواهر كان التأثر يأخذ بألبابهم إلي حد أنهم كانوا يركعون لـه بدون اختيار منهم. وقد تغير تاج الملوك الساسانيين علي طول حكمهـم فكـان هرمز الرابع يلبس تاجاً ذهبياً مزيناً بالزمرد واللؤلؤ يذهل أعين مشاهديه.

وكان الملك يندر حضوره في المجتمعات والأماكن العامة اللهم في بعض الأعياد أو حين كان يعقد مجلس الشورى وقت الخطوب والملمات أو حين كان يود محاكمة أحد الكبار فيأذن للخاصة بالدخول عليه. وفي هـذه المناسـبات لا يقتصر حق الحضور علي رجال البلاط والدين بل كانت الجلسة علنية وبإمكان أفراد الشعب مشاهدة الملك.

وكان منح الهدايا والألقاب والخلع رسماً عندهم وكانوا يسرفون في بعض الأوقات في بذلهم وعطائهم كما فعل أردشير الأول حين ملأ فم أحد رجال الدين بالياقوت والذهب واللؤلؤ وغيرها من النفائس لأنه أفضي إليه ببشارة.

كان السفراء الأجانب يستقبلون باحترام شديد وكان إذا بلغ أحدهم حـدود إيران كان حاكم تلك الولاية الحدودية يطلع البلاط علي طلبه بأسرع ما يكون ثم

يرسل به إلي الملك بإجلال كامل ويهيأ له طوال طريق توجهه للملك كل وسائل الاستقبال والحفاوة من الطعام والشراب. فإذا وصل البلاط استقبله فـــي مجمـــع رسمي ويأخذ في الاستفسار منه عن أحوال بلاده ثم يقوده إلي قصره محفوفـــاً بكل أبهة وجلال ويتناول معه الطعام ثم يصحبه في رحلة صيده. فإذا مـــا أراد الرسول العودة كان يخلع عليه ويعيده بإعظام تام.

طبقات الهيئة الاجتماعية:-

كما يظهر من كتابات المؤرخين المسلمين والأدب الديني البهلوي انقـــسم الشعب الإيراني في عهد آل ساسان إلي بضع طبقات وكان الانتقال من طبقـــة أدني إلي طبقة أعلي يحدث بندرة فإذا ما أنجز أحد عملاً مهمـــاً كـــان الملـــك يستدعيه وبعد الفحص والمحص والامتحان والابتلاء يمنح حسب درجة علمـــه عضوية طبقة أعلي ولكن يبدو أنه لم يكن يمكن لأحد أن يدخل طبقة رجال الدين إلا من كان سليل أسرة دينية. ويخرج عن نطاق الدراسة الإجابـــة عـــن هـــذا السؤال: هل كانت طبقات الشعب الإيراني قبل آل ساسان محددة ومشخصة، لكن لابد من الإشارة إلي أن الأبستاق قسم المؤرخين الخاصة أربع طبقات هي رجال الدين والحرب والزراعة وأرباب الحرف. وأضاف (تنسر) العالم الديني الـــذي ساعد أردشير بن بابك كثيراً طبقة (الكتاب) إلي تلك الطبقات. يقول: أعلـــم أن الناس قسموا حسب الدين الزردشتي إلي أربع طبقات وهـــذه الطبقـــات تـــشبه أعضاء البدن الأربعة، ورأس هذه الأعضاء هو الملك وأول عضو هو رجـــال الدين الذين انقسموا إلي طبقات فرعية كالقضاة والمغان والمفتشين والمعلمـــين. والعضو الثاني هو رجال الحرب وهم علي طبقتين الفرسان والمشاة... والعضو الثالث هو الكتاب وبدورهم هم أنواع مثل الكتبة والمحاسبين وكتـــاب الأحكـــام والمصدقات والعقود والتذاكر والأطباء والشعراء والمنجمـــين... أمـــا العـــضو

الرابع فهو أرباب الحرف كالتجار والزراع. هذا التقسيم الرباعي للعالم ضـــمان أبدي للنظام والاستقرار.

كان يفصل بين طبقة الأشراف والأعيان وغيرها مما دونها من طبقـــات فرق فادح من حيث المظهر الرائق والألبسة الفــاخرة والأســلحة المجــوهرة والخيول المسومة وكانت نساء الأشراف يكتسين الثياب الحريرية وكانت هــذه الطبقة تجد أفضل ترويح لها في المبارزة بالسيوف ولعب الصولجان والــصيد والقنص. انقسمت هذه الطبقة العليا إلي أقسام عدة أهمها رؤساء الولايات النائية (شهرداران) وغيرهم خاصة رؤساء ولايات الحدود (مرزبانان). الأوائل كـــانوا حكام الولايات النائية ويحكمون المستعمرات والمحميـــات ويلقبـــون بالـــشاه أو (الملك) ولهذا سمي ملك جميع بلاد إيران الأصلية والمـــستعمرة بالشاهنـــشاه أو (ملك الملوك) [1]. أما المرازبة فهم حكام سائر الولايات خاصة ولايات الحـــدود ثم يليهم أبناء الأسرات السبع الممتازة في إيران الذين كانوا يحـــسبون أنفـــسهم أولاد الحكام الأشكانيين منهم هذه الأسر الخمس: أسرة كارن وسورن والأصبهبد والسبنديار ومهران وكانوا يسمون (فيسبوهر) أي أولاد القبائل وكانت وظائفهم وراثية ويلبسون التيجان. ولما أن رجال الدين بلغوا ذروة القوة فقد اقتـــصرت أعمالهم وصلاحياتهم علي أخلافهم. ثم يليهم سائر الأشـــراف والأعيـــان وهـــم العظماء أو الكبار ثم الأحرار وكما سبق القول فقد بلغت هذه الجماعـــة أقـــصي القدرة والنفوذ. وبآخر درجات النجباء شجاعة الدهاقنة الذين كـــانوا يتعهـــدون إيصال الضرائب وكانوا يفترقون من حيث التربية عن الفلاحين ويلبسون ثيابـــاً

---

(1) توضيح ذلك أن من عهد أنوشيروان لم يوجد (شهردار) آخـــر غيـــر والـــي أرمنيـــة وآذربايجان والولايات المجاورة للهند وكان حكام الولايات يسمون المرازبة ومع ذلـــك كان الأمراء سليلى الأسرة الحاكمة يسمى الواحد مهم (شاه).

مختلفة.

أما الفرسان فكانوا جزءاً من طبقة الأحرار وكانوا يتقدمون علي غيـــرهم ويلون الأشراف ذوي المرتبة الرفيعة. وكانت هذه الجماعة تهتم بأمور الزراعة أوقات السلام ويندر أن كان يعيش بعضهم في البلاط. كان رجال الدين يشكلون طبقة ممتازة أخري وكما ذكرنا كان الشاه ينتخب رئيسهم (رئيس المؤابذة) الذي بلغ نفوذاً عظيماً في البلاط وكان هو الذي يعين سائر رجال الدين. ولا نـــدري بالضبط واجبات الهرابذة ويروي أن كسري برفيز لما شيد معبداً للنار نصب به إثنى عشر ألف هيربذ لتلاوة الأدعية وبالطبع كان الهيربذان هربذ يعد رئيـــساً لهم. وكان رجال الدين يمتلكون عقارات ولأنهم كانوا يتلقون الأعشار (الزكـــاة) والنذور والهدايا بلغوا ثراءً عظيماً وقوة شديدة. ومن جملة واجباتهم رعاية النار المقدسة حتى لا يخمد أوارها البتة.

كان رجال الدين يتدخلون في المراسم المتعلقة بالميلاد والزواج والمـــوت والأعياد الدينية وعقد الحزام المقدس (كستى)[1]. وكان الآثمون ومرتكبـــو مـــا يخالف الشرع يلجأون إليهم ليطهروهم ويأخذون منهم الكفارة. الخلاصة كانـــت كافة المراسم الدينية من قبيل تلاوة الأدعية والمناجاة وغيرها مسؤليتهم، فضلاً عن مهمة التعليم والتدريس. والمكلفون منهم بتلاوة الأدعية والزمزمـــة يـــسمي

---

(1) هو أو الزُنَّار حزام أتباع زردشت كان الموبد ينسجه بيده من ٧٢ خيطـــا إشـــارة إلـــى عدد اليسنا أهم أجزاء الأبستاق وهذه الخيوط تكون ستة خيوط أغلظ كل منهـــا يتكـــون من أثنى عشر خيطاً والعدد (٦) يشير إلى عدد الأعياد الدينية في الـــسنة وعـــدد (١٢) يشير إلى الشهور الأثنى عشر ويعقد هذا الحزام ثلاث مرات على الخصر إشارة إلـــى الأصول الثلاثة للزردشتية (الفكر الطيب والقول الطيب والفعل الطيب) ويجـــب علـــى الزردشتى إذا بلغ السابعة أن يعقد خاصرته بهذا الحزام (المعرب).

الواحد منهم (زوت) ويسمي راعي النار (راسپی).

وكانت طبقة الكتاب تشمل كافة الكتبة الحكوميين والمحررين بل والأطباء والشعراء والمنجمين وطبقة الزراع والصناع تحوي أرباب الحرف والتجـــار. وكان لكل من هذه الطبقات رئيس وتحت أمره مفتش خاص يحصي عدد أفرادها فضلاً عن مراقب يتولى جباية الضرائب والأمور المالية لتلك الطبقـــة ونـــاظر يراقب أعمال أبنائها.

كان سكان المدن يدفعون ضريبة الرأس شأنهم شأن سكان الريف لكـــنهم كانوا يعفون من الخدمة العسكرية. كان الفلاحون يشكلون المشاة وقت الحـــرب وفي أثناء السلام يعملون بالزراعة في خدمة ملاك الأراضـــي وكـــانوا أحيانـــاً يعيشون بلا عمل.

الجيــــــــــش:-

لم يحافظ فقط الجيش الإيراني في عهد آل ساسان علي إيران قروناً مـــن هجمات الأجانب بل عادل أفضل جيوش العالم إذ ذاك أي الجـــيش البيزنطـــي وألحق به الهزيمة مراراً.

أهم الوظائف العسكرية كانت أولاً وظيفة القيادة العامة (إيران سپهبد) ثم رئاســـة ســـلاح الفرســـان (اســـپهبد) والمراقبـــة العامـــة علـــي المخـــازن (إيران امبارك بذ). وحتي عهد كسري أنوشيروان كان لا يتولي قيادة الجـــيش غير قائد عام واحد لكن من عهده فصاعداً ألغيت تلك الوظيفة. وشرح ذلـــك أن بلاد إيران انقسمت في عهد أنوشيروان أربعة أقسام: الشمال (أواختر) والشرق (خوراسان) والجنوب (نيمروز) والغرب (خواوران)، وسمي كل قسم من هـــذه (پادجس) وكان حاكمه يتولى أموره المدنية والعسكرية. ومن عهد أنوشـــيروان

ألغي منصب القيادة العامة وصار حاكم كل (پادجس) تحت قيادة الصبهبذ (القائد العسكري) وأشرنا في تأريخ أردشير بن بابك أن هذا الملـك كـون كأسـلافه الأخمينيين جيش الخالدين الذي لم يكن عدده معروفاً وكان هو نفسه يشرف علي أمور الجيش ويختار قواده.

وكان سلاح الفرسان يشكل أهم أقسام الجيش واختير أفراده مـن نجبـاء البلاد. ويشاهد علي النقوش الحجرية في طاق بستان الذي بقي تـذكاراً لـذلك العهد فارس إيراني ارتدي بدلته الحربية المدرعة التي غطت ما بـين ركبتيـه حتى وجهه وكميه وفوق رأسه خوذة مزينة بأشرطة متموجة وبيمناه رمح طوله ذراعان وبيسراه ترس وتدلي من خصره جعبة سهام كما تغطـي رأس جـواده وعنقه وصدره بكساء ضافٍ واقٍ. ويمكن القول أنه كان يوجـد خـلاف هـذه الأسلحة المرسومة في طاق بستان أسلحة الفرسان كالسيف والوهق وكان عـن طريق هذا الوهق يسقط الفارس المعادي عن فرسه إلي الأرض.

كانت المخازن والأهراء تمتلئ بالأسلحة وقت السلام وسميت إحدى المدن الواقعة فيما بين النهرين بالمخزن (الأنبار) لهذا الغرض. وكانت مراسم صـب الماء المقدس في أقرب نهر تقام قبل نشوب الحرب ويطلق فرع شجرة متبـرك علي أنه أول سهم. ثم يأخذ قائد الجيش في إثارة حماسة جنوده للـصمود فـي القتال وأداء الواجب الديني والولاء للملك حتى يثابوا خيراً في الدنيا والآخـرة. وكان صوت النفير يؤذن ببدء القتال وحينا كانت تجري المبارزة قبـل احتـدام القتال.

كان الشاه إذا حضر بنفسه القتال ينصب له عرش السلطنة بوسط الجيش ويتحلق حوله مجموعة من الجنود الفدائيين ويقف وراءهم متحلقين أيضاً جماعة من سلاح المشاة وعدد من رماة السهام. وكان يندر أن يدخل الشاه وسط جماعة

بقصد القتال. وفي أوقات غياب الشاه كان قائد الجيش يعتلي العرش ويصدر أوامره. يقال أثناء هجوم الفرسان إنه كان يكاد سنابرق دروعهم يذهب بالأبصار. وقد ذاع صيت مهارة الإيرانيين في تفويق السهام كما كانوا يستعملون أبرع مهارتهم في فن الحصار والضرب بالمنجنيق واستغلال الأبراج المتحركة ورمي المواد المشتعلة فوق آلات العدو الحربية وكانت أفيالهم الحربية تلقي الرعب في قلوب الروم وكانوا يحملون هذا الحيوان أبراجاً جشبية مزينة بالأعلام الكثيرة ويملأون هذه الأبراج بالمقاتلين.

ويعرف من رسوم ذاك الزمان شكل الأعلام وكان قسم منها، بوجه خاص، يتكون من قماش رقيق وطويل موصول بعصا خشبية. وفي موضع آخر يشاهد حامل علم (بيرقدار) يحمل بيديه خشبتين فوقهما خشبة أخري منصوبة بشكل أفقي وفوق هذه الخشبات الثلاث الأفقية ثلاث كرات تعلق تحتها كرتان بهما العلم القومي الإيراني أو الدرفش الكافياني الذي بلغ طوله علي مر الزمان نحو الأمتار السبعة وعرضه خمسة أمتار وازدان بصنوف الجواهر والنفائس.

كان حكام الولايات المختلفة يرسلون إمدادهم وقت الحرب ويذكر الطبري كذلك اسم إحدى المجموعات الخاصة أو الإيسپار (جان سپار – الفدائى) ويبدو أنها كانت جيشاً من المرتزقة.

انقسم الجيش الساساني إلي بضعة من الجند (گُند) أو الأفواج وانقسم كل (جند) إلي بضعة درفشات أو (أعلام) أو (مجموعات). أما سلاح المشاة الإيرانيين الذي كان يتألف من الفلاحين وكان يجهلون فنون القتال ولا يؤجرون علي خدمتهم فلم يبذلوا كفاءة في قتالهم لكن يظهر من كلام المؤرخين المسلمين أن بضع مجموعات من سلاح المشاة المنظمين كان يحتفظ بهم وتدفع لهم رواتب كافية، كما كان المشاة يشكلون حراس الإيالات وحرس الأمن. وبالإضافة إليهم

كان يرابط في كل ولاية قوات محلية خاصة تحمي ولاياتها من هجمات العدو.

وأهم المراتب العسكرية فوق ما أشير إليه كالآتي: قائد الجنود أو رئيس الجيش (ارتشتاران سالار) وقائد القلعة (قلعه بيكى) وقائد الفوج (گندسالار) وقائد المشاة (پيغان سالار) ومعلم الفرسان (اندرزبداسپ وركان) وطبيب الدواب (بيطار).

ولا حصاء عدد الخسائر البشرية كان الرسم أن يتقدم في حضور الملك وقائد الجيش مجموعاته ويأخذ كل جندي في إلقاء أو طرح سهم في سلة معدة لهذا الغرض. وبعد طرحه سهماً تختم السلال بخاتم الملك وبعد نهاية الحرب تفتح كل السلال ويحمل كل جندي منها سهماً وما بقي منها بسهمها هو عدد القتلي والأسرى. وفي النهاية نشير إلي أن أنوشيروان قام بإصلاحات مهمة في شؤون الجيش منها تعيين موظف للخزانة كان مكلفاً بتمحيص أوضاع المقاتلين وأحوالهم قبل أن يدفع لهم أجورهم. وكان كل مقاتل مكلفاً بأن يجهز نفسه بعدة القتال ويحضر إلي موظف الخزنة أو الخازن ويختبر أسلحته. كما كلف الفرسان أيضاً بالحضور بخيولهم وعدتهم ويؤدي امتحان فروسيته فإذا بدا نقص أوقف صرف أجره حتى يزيل نقصه وكان هذا التفتيش يجري بدقة تامة حتى لا يتقاضى واحد راتباً فوق ما يستحق.

الضرائب:-

انحصرت عائدات الملوك الساسانيين في جباية الضرائب وكانت غنائم الحرب والهدايا التي تقدم في مناسبات خاصة ودخول أملاك الشاة الشخصية تعد من مصادر هذه العائدات. لم يقم نظام وصول الضرائب قبل أنوشيروان على أساس محكم فكان يحصل واحد من عشرين جزءاً حتى الربع من محصول

الأرض حسب الأوضاع الزراعية للولاية وقرب الأرض الزراعية أو بعدها عن مكان محدد أو موضع مخصوص. وكان هذا النظام لوصول الضرائب فوق أنه لم يقم علي أساس متين يعرض الزراع للمشقة والخسارة لأنه حُظر علي كل زارع أن يجمع محصوله قبل وصول مأمور الضرائب ويربط حق الدولة فكانت الرياح والأمطار تضر المحصول وتسبب خسارة جسيمة. وأراد قباد أن يلغي هذا النظام لكن العمر لم يمهله فترك مسألة تعديله عهدة علي أنوشيروان.

قرر هذا الملك أن تدفع كل قطعة مزروعة ضرائب محددة نقداً وعيناً وللزراع الحق في حصد محصولهم قبل وصول مأموري الضرائب ولم تكن تحصل ضرائب علي الأرض التي لم تزرع وتنتج حتى وصول المأمور وبناء علي ذلك كان يتم التفتيش والمعاينة في كل عام حتى يقيد في دفتر الضرائب ذاك القدر من الأرض الزراعية الذي لا يزال في طور الزراعة. كان يحصل درهم واحد ضريبة علي نحو (٢٤٠٠) متر مربع مزروع بالشعير والقمح وهي مساحة الجريب الواحد. أما جريب العنب فكان يدفع ثمانية دراهم وجريب الأرز خمسة في العام. وكذلك أشجار الفاكهة كان يدفع عنها ضرائب قليلة بمراعاة ظروف وشروط معينة وكان يقال لهذا النوع من الضرائب (خراج).

أما فيما يتعلق بضريبة الرأس (الجزية) فقام أجري أنوشيروان إصلاحات أخري فقسم لهذا الغرض السكان طبقات محددة بحسب ثرواتهم وقرر مبلغاً معيناً علي كل طبقة وأعفي النساء والأطفال والرجال الذين تزيد أعمارهم عن الخمسين أو تقل عن الثلاثين عن دفع ضريبة الرأس. وكانت توزع كشوف كل عام في كل ولاية ومدينة وقرية حتى يعلم السكان مقدار الضريبة المقرر علي كل منهم فلا يظلم موظف الضرائب منهم أحداً. وكانت ضريبة الرأس هذي تقسط ثلاثة أقساط تدفع في محل سكني مؤديها كل قسط منها يدفع كل أربعة

شهور. ولمنع ظلم محصلي الضرائب كان من صلاحية كافة رجال الدين بناء عن طلب من الرئيس العام لرجال الدين إجراء التحريات اللازمة ومراقبة تصرفات مأموري الضرائب وأعمالهم.

الأمــــور القضائية:-

كان للملك أن يقضي بشخصه بصفته رئيس جميع الطبقات في كافة القضايا من المدنية والجنائية بل والدينية وكان يحقق في جلسات علنية في عيدي الربيع (النوروز) والخريف (مهرجان) لكنه لم يكن المرجع في القضايا العادية إذ كان التحقيق فيها يوكل إلي قضاه خاصين. ويبدو أنه كان ينتخب (قضاه ذوو صلاحية) من غير طبقة رجال الدين في التحقيق في القضايا السياسية والعسكرية بل والتحقيق في بعض القضايا الجنائية منهم (قاضي المدينة) و (قاضي إيران) و (قاضي العسكر). لكن القضاة من رجال الدين كانوا يقضون في قضايا الأفراد العاديين خاصة في المخالفات المدنية والدينية. كان القضاة من رجال الدين الذين كانت هذه المهمة منوطة بهم رسميا جماعة خاصة في الهيئة الاجتماعية ولم يكن أي رجل دين يتولى هذه الوظيفة ولو حدث أن أوكل له التحقيق فلم يكن حكمه يعتد به بنفس حكم القاضي الرسمي. وكان ثبوت القضايا يتم بوسائل شتي منها إقرارات الشهود المكتوبة وأداء القسم القانونية أو القيام ببعض المراسم مثل مرور المتهم داخل نار مشتعلة وغمس يده في الماء المغلي وأكل قدر كبير من الطعام. وكان النبلاء يعفون من القيام بهذه المراسم وكان يعتد بمجرد اعترافهم أو حلفهم وكان القضاة يتحاشون قدر طاقتهم اللجوء إلي أداء المتهمين القسم باسم الله ويجتهدون في إنهاء المنازعات بالصلح.

كانت الجرائم من حيث موضوعها ثلاثة أقسام: جرائم في حق الغير والجرائم الدينية والجرائم السياسية وكان يؤخذ في الحسبان كافة ظروف المتهم

وملابسات جريمته ونوع جنايته أو مخالفته قبل إصدار الحكم عليه وكان تتميز بين الكبار والصغار ومن كان لهم مطلق الحرية في ارتكاب جرائمهم وأذنبوا مع سابق الإصرار والترصد وأولئك الذين أجبروا علي ارتكاب الجريمة حتى كان تراعي الفروق بين الصغار أبناء السبع أو الثماني سنوات والصغار ما بين الثماني والست عشرة. كما كان يراعي الفرق بين الجنسين فكان عقاب المرأة يختلف عن عقاب الرجل.

وكانت كافة أفراد أسرة المتهم تؤاخذ في بعض الحالات لكن لابد من العلم بأن مثل هذه الوقائع كانت تعد علي الأصابع في العهد الساسانى. علي أية حال فقد كان القيم أو المربي أو الكبير أو المسؤول عن الصغار يؤاخذ علي ذنب صغيره ومرباه. وكان المجرم يعاقب بعقابين: العقاب الدنيوي وعقاب الآخرة ولكي يخلص المجرم روحه من جزاء الآخرة عليه التوبة والاستغفار أي يندم علي ما فعل ويعزم علي ألا يعود إلي المعاصي أبداً. لكن طلب المغفرة وتلاوة آيات التوبة والاسترحام التي اختيرت لهذا الأمر لا تعفي الجاني من جزاء الدنيا. فلم تكن توبة بعض الجناة كقاطعي الطرق أو مجرمي الجثث وأجساد من دفنوا مقبولة وكان مرتكب هذه الأعمال يستوجب العقاب في الدنيا والآخرة. وكان علي الجاني أن يقدم أضحية أو يؤدي بعض الأعمال المفيدة أو يتصدق للتكفير عن جريمته في بعض الحالات.

كان العقاب الدنيوي هو الإعدام أو ضرب السوط (وكان عدد الجلدات يختلف بقدر نوع الجناية أو المخالفة) وقيد القدمين والسجن والأعمال الشاقة والكي والتمثيل وكان الأخيران لا يحدثان إلا في حالات استثنائية. وفي بعض الحالات كان الجاني لا يجبر فقط علي تعويض ما أتلف بل كان يحكم عليه بدفع غرامات إضافية أو يكلف بأداء خدمات لصالح الدولة أو المؤسسات الدينية.

الهيكلة الإدارية:-

كان أكبر شخصية إدارية بالبلاد بعد الملك كبير أو رئيس المأمورين ولقبه البهلوي (وزرك فرامادار) وكان في الواقع رئـيس الـوزراء ويـسمي أيـضاً (هزاربد) لأنه كان يتعهد قيادة جماعة من الجنود هم الحرس الخـاص بالملـك وكان عددهم ألف جندي. وكان هذا الرجل يمسك بأزمة الأمور الداخلية للـبلاد والسياسية الخارجية لها معاً. ثم يليه سائر الوزراء من مثل وزير المالية (شـاه هامارديـپر) ووزير الخزانة (كنج هامارديـپر) ووزيـر العـدل (داديـپر) ووزير تربية الخيول وأمير الاصـطبل الملكـي (كاداهامارديـپر) ووزيـر محاسبات معابد النار (آتش هامارديـپر) ووزير الأوقاف (رونـگان ديـپر).

كان الكتاب أو أعضاء الدولة مكلفين بالحضور في الـدواوين المختلفـة (الإدارات) فيحررون فرمانات الملك وأوامره والخطابات الـسياسية وأحـداث البلاد وقد اتسم الكتاب بالمهارة الفائقة في فن الإنشاء واستعمال الألفاظ والألقاب في مواضعها وعمل بعضهم في الأعمال الحسابية وكان رئيسهم يسمي (إيـران دبيربد) أي كبير كتاب إيران أو الكاتب الأكبر أو كبير الكتاب.

كان كاتب خصوصي ينقش أوامر الملك في حضرته ثم يقيدها كاتب آخر في دفتر شهري ممهور بخاتم الملك ويرسل أصل الأمر إلي حامل أختام الملـك فيرسل به إلى الموظف التنفيذي أو مجري الأوامر الملكية بعد إجراء الخطوات الرسمية اللازمة. فيتولى هذا الموظف إعادة نسخه آخذاً في حـسبانه الألقـاب والعبارات المتعلقة بذلك العصر والمتداولة فيه فيرسل ما كتبه بعد مطابقته بمـا قيد بالدفتر الشهري عن طريق كاتب خاص بحضور الملك وطالما أن الرسالتين لهما نفس المضمون فتختم الثانية بخاتم السلطنة وتوضع موضع التنفيذ.

ولا نعرف تشكيلات الدواوين أو الإدارات أو تعدادها. ويروي المسعودي أن أنوشيروان كان له أربعة أختام وبرفيز كان له تسعة وكان كل خـــاتم منهـــا خاصاً بديوان معين. وكان يتولى الإدارة عند الولاة عدة من الكتاب ومحـــصل ومحاسب ومستشار وقضاه يعهد إليهم إدارة ملك الولاية.

الـــــزواج:-

يبدو أن الزواج كان علي خمسة أنواع في أيام الساسانيين:

١. كانت المرأة التي كانت تتزوج برضاء والديها تعد الزوجة الممتازة وينتسب أولادها إلى زوجها في الدنيا والآخرة.

٢. إذا كانت المرأة هي وحيدة أبويها فكان أول مولود لها ينسب إلـــي أسرتها هي لكي يكون عوضاً عن أمه التي خرجت من دائرة أسرتها.

٣. لو بلغ صبي سن الزواج ومات عزباً فيمكن لأسرته أن تجهز ابنة أجنبية وتزوجها من رجل أجنبي عن الأسرة علي أن ينسب نصف الأولاد الذين تلدهم من ذلك الزوج إلي الميت وينتسب النصف الثاني إلى زوجها الحي.

٤. الأرملة التي تتزوج ولم تلد من زوجها المتوفى ينتـــسب نـــصف أولادها من زوجها الثاني إلي زوجها الأول المتوفى.

٥. المرأة التي كانت تتزوج بغير رضا والديها كانت تـــسمي امـــرأة سرية أو رقيقاً أو أمة وكان تعد إرثاً في حالات خاصة. إذن الغرض من الزواج كما نلاحظ هو إكثار النسل وتخليد اسم الرجل وبقاء ذكره ونسله.

الأعيـــــاد:-

أهم أعياد الساسانيين أولاً النوروز وكان عيداً كبيراً ويعد مفتتح السنة الجديدة. ولابد أن نعلم أن علي الرغم من أن اسم أول شهور السنة هو (فرفردين) لكنه كما هو الآن لم يكن يبدأ ببداية الربيع بل كان يبدأ بأول الصيف وكان النوروز يبدأ ببداية شهر (تير) [1]. أما عيد الربيع المسمي (بهارجشن) فكان يقوم بأول أيام شهر (آذر) في أيام آل ساسان وكانت مراسم الاحتفال تقام له منها أن رجلاً أقرع كان يركب بغلاً ويدور بالمدينة ويخرج ريحاً فيرميه الناس بالماء البارد ويظهرون سعادتهم وبهذا النحو بانقضاء الشتاء. ومن الأعياد الأخرى عيد المهرجان الذي كان يقع في السادس عشر من شهر مهر (السادس من أكتوبر). كان هذا العيد في البداية يقع في الشتاء ثم تقدم تدريجاً فأصبح في بداية الخريف. وكان بالعاشر من شهر بهمن (الموافق الثلاثين من يناير) يقام احتفال السذق حين كانوا يشعلون النار وكان الثلاثون من نفس بهمن هذا يقام به احتفال رش الماء (آبريزان) حين كان الواحد منهم يرش الآخر بالماء إظهاراً لسعادته. وكان يحتفي في الخامس من شهر اسفند (الموافق الخامس والعشرين من فبراير) بالعيد المعروف بـ (مجده جيران) أو عيد البشارة وكانوا يتهادون فيه.

التجـــــارة:-

كانت الطرق البرية لآسيا الوسطي تربط دولة الروم بالصين وكانت

(1) في أيام السلطان ملكشاه السلجوقى بعد الإسلام جعلوا بداية العام أول الربيع وعليه صار شهر فرفردين أو شهور الربيع (المؤلف). وبداية فرفردين هى (٢١ مارس) و (تير) (٢١ يونيو) وآذر (٢١ نوفمبر) (المعرب).

صادرات هاتين الدولتين ووارداتهما تعبر بلاد إيران لهذا كان ملوك إيران يبذلون أقصي جهودهم في تعمير طرق إيران وحفظ الأمن بها وكان يحكم بالموت علي قطاع الطرق. وقد بلغت مصانع النسيج الإيرانية شهرة فائقة، وكان يصنع فيها صنوف الأقمشة المذهبة والثياب الحريرية والصوفية التي كانت تصدر إلي كل البلاد. وكان الصينيون يبتاعون العظلم أو النيلة الإيرانية والسجاجيد البابلية بأسعار مرتفعة، كما كان ينقل منها إلي الصين أحجار سورية النفيسة ومرجان البحر الأحمر ولآلئه وأقمشة عن طريق صحراء جوبى. وكان الإيرانيون يستفيدون من خبرة أسري الحرب الأجانب ويدفعونهم إلي خدمة بلادهم في سائر ولاياتها.

المعـــارف والتربية والتعليم:-

من الثابت المؤكد أن المتعلمين بإيران كانوا رجال الدين والنبلاء والكتاب لكننا نجهل مقدار ما كان غيرهم من سائر الطبقات يحصل من العلم والمعرفة. كان رجال الدين يعلمون ويدرسون القراءة والكتابة والحساب ويحتمل أن التجار كانوا بدورهم يتلقون العلم عنهم. وكان الأعيان والنبلاء علي معرفة متمكنة بفن المبارزة بالسيوف ولعب الصولجان وغيرهما من الرياضة حتى لعب الشطرنج (بداية من عهد أنوشيروان).

ومن البدهي أنهم كانوا يتعلمون هذه الفنون من أساتذة لم يكونوا من رجال الدين. وتوجد أدلة علي أن العلوم في إيران وقتذاك قد بلغت شاواً عظيماً، ومع أن يد الحادثات لم تذر الأعمال العلمية لذاك العهد لكن يمكن إثبات أن معارفه قد ازدهرت بدرجة تجدر بالاهتمام لأن وجود الكتاب المحنكين المطلعين ذوي المهارة الفائقة في فن الكتابة وتنظيمهم دفاتر عائدات ونفقات لبلاد متسعة الأرجاء كالبلاد الساسانية ومعرفة القضاة بالقوانين والأحكام الشرعية والعرفية

وإصدارهم أحكاماً عادلة في محاكماتهم وظهور رجال مثل ماني الـذي أنـشأ فلسفة ومذهباً جديداً وانتشار مذهبه من الصين حتى إسبانيا وإيطاليـا وإيمـان كثيرين به وعلاقاته ببلاد مثل الهند والروم والمجادلات الدينية التي كانت تقـام بين علماء الزردشتية والمانوية والمسيحية وحماية ملوك إيران لعلمائهم وللعلماء الأجانب وكلمات الحكمة والموعظة التي خلفها ذاك العهـد وترجمـة الكتـب الأجنبية إلي البهلوية وغيرها من المسائل الكثيرة تؤكد أن أبناء إيران لم يكونوا رجال حرب وسياسة وحسب بل احتفظوا بقدر كافٍ من العلـم والمعرفـة. إن مدرسة جنديسابور التي أسسها أنوشيروان قد غدت بالتدريج جامعة مهمة وقـد تلقي عدد من علماء صدر الإسلام العلوم علي يد معلميها.

كان الملوك الساسانيون محبين للمعرفة ومشجعين للعلم ومشهور أن بهرام جور كان ينظم الشعر العربي وأن أنوشيروان كان يناظر حكماء اليونان الـذين التجأوا به في المباحث الفلسفية وأن مؤلفات أرسطو وأفلاطون نقلت في عهـده إلي البهلوية كما ترجم في عهده كتاب كليلة ودمنة من السنسكريتية.

اللغة والخـــــط:-

الفارسية الحالية هي الصورة الإسلامية للغة البهلوية لغة العهد الساساني ولكن لا يمكن القول أن هذه البهلوية كانت ابنة أو صورة للغة الفارسية القديمة التي كانت لغة البلاط الأخميني. علي أية حال فقـد كانـت الفارسـية القديمـة والبهلوية هما وسيلتي التخاطب للإيرانيين المقيمين بإقليم فارس.

كانت قراءة الخط البهلوي تعترضها مشكلتان كبيرتان أولاهما أن حرفـاً واحداً كان يمكنه تمثيل أكثر من صوت في وقت واحد والثانية أن ما يقرب من ألف كلمة كانت مكتوبة بالآرامية وتقرأ بالفارسية وتسمي (الهـزوارش) فمـثلاً

كانت كلمة (لحما) أي اللحم كانت تكتب (لحما) وتنطــق (گوشــت) أي اللحــم بالفارسية أو (ملكا) أي الملك تكتب (ملكا) بالآرامية وتنطق شاه، وقد صــعبت هاتان المشكلتان تعلم البهلوية ولعل هذا كان السبب في سرعة تبدل الخط بعــد زوال الحكم الساساني إلي الخط العربي.

المعمــــار:-

يمكن تسمية العهد الساساني بعهد تجديد العمارة الإيرانية. فكمــا ســبقت الإشارة لم يهتم البارتيون كثيراً بالعمارة وأهم الآثار المعمارية بعد الهخامنشيين هي التي خلفها الملوك الساسانيون ويوجد أغلب هذه الآثار في فــارس وقــرب كرمانشاه وفيما بين النهرين.

يمكن القطع بأن آثار فيروز آبادوسروستان آثار ساسانية لأن أردشير كما يذكر الجغرافيون المسلمون هو الذي بني فيروز آباد وكان اسمها (گور) فغيره إلي فيروز آباد عضد الدولة الديلمي بعد الإسلام ولا يمكن القول أن المدينة التي شيدها أول ملوك ساساني تعود إلي العهد الأخميني. كمــا أن طــراز أعمــال التجصيص لتلك الأبنية وبناء القباب والطاقات البيضاوية دليل كافٍ علي أن ذاك المعمار إذا لم يكن ساساني البناء فعلي الأكثر أنه بني في أواخر العهد البــارتي ولا يمكن بحال نسبته إلي ما قبل هذا العهد. بني قصر سروستان فــوق أرض مستطيلة الشكل وبه ثلاثة ممرات ذات طيقان نصب بينها عديد مــن الأعمــدة. وبأعلى قاعته قبة شيدت من الآجر وبنيت علي أحد جانبي صحنه غرفات علت إحداها قبة.

أما قصر فيروز آباد فقد بني بدوره فوق مسطح مستطيل وليس له غيــر باب للدخول بني بشكل نصف دائري. والإيوان بوسطه به طاق ويقع إيوانــان

صغيران آخران في أطرافه. وبهذا القصر قاعة وحجرة بنيت في مقابل صحنه.

من الأبنية المهمة لتلك الأيام التي لا يزال جزء منها قائماً حتى اليوم (طاق كسري) الواقع قرب دجلة وهو نموذج لعظمة العهد الساسانى. شيد هذا البناء بالآجُر الأبيض والكبير. وينفتح في القاعة العظمي المسماة بالإيوان ثماني قاعات صغرى. والطيقان نصف دائرية. وانقسمت واجهة القصر ست طبقات علا بعضها بعضاً عن طريق أعمدة وزود ما بين الطبقات بصفوف عدة من الحجر لاستحكام البناء. وبالجملة فإن تناسب هذا المعمار واتساعه العظيم يذهلان كل ناظر خاصة أن جدرانه المزينة بالستائر الذهبية الموشاة وبسبب النوافذ العديدة التي شقت في الطيقان المقعرة كانت تشع بالنور الذي يغمر القاعة. ويكفي أن الخليفة العباسي المنصور حين كان يريد بناء بغداد رام أن يخرب هذا الأثر بسبب عظمته لكي يستعمل مواد بنائه في تشييد المدينة الجديدة لكنه عجز عن إتمام همته. وقد أنشدت أشعار بالفارسية والعربية في هذا البناء العظيم لا يسع هذا المختصر ذكرها.

معمار آخر من معمار هذا العصر (قصر شيرين) الذي شيده برفيز لزوجته (شيرين) وقد نقضت مواد بناء أعمدته الجيرية والآجرية وخرب ومع ذلك فلا تزال آثاره ظاهرة. وقصر آخر معروف بني خارج إيران هو قصر (ماشيتا) قرب نهر الأردن وقد شيد في عهد برفيز.

أما ما يتعلق بالنقوش الحجرية لذلك العهد فيوجد في نقش رستم صور ومناظر عديدة منها منظر انتصار شابور الأول علي فاليرين إمبراطور الروم. والمنظر الثاني لفارسين ارتديا لباس السلطنة وأحدهما يسلم الآخر تاج الملك. ثم صورة لبهرام الرابع ممتطيا جواده ويهاجم عدوه برمحه والفارس والفرس علي وشك السقوط. وتوجد صور أخري في تلك المنطقة وأمام نقش رستم رسم

حجري لشابور راكباً فرسه.

وقرب كازرون (في شابور) صورة تمثل هزيمة فاليرين بدا فيها شـــابور الأول معتلياً جواده بكل قوة وقد ركع أمامه إمبراطور الروم مـــاداً يديـــه فـــي ضراعة و (سيريادس) يتسلم تاج الروم بخضوع وشعف من شابور.

ويوجد في طاق بستان قرب كرمانشاه نقوش حجرية باهرة منها صـــورة فارس متدرع متخوذ ومتسلح بالرمح والسهام وقد تسربل جواد هـــذا الفـــارس بغطائه الحربي ولكن المشهد الأكثر جمالاً وجذباً للأنظار هو صـــورة لقـــنص برفيز من صور طاق بستان المنقوشة علي الحجر ويتميز تصوير هذه المشاهد بجمال خاص. نقش بمهارة وإتقان في هذا المنظر الذي يصور صيد بقر المهـــا صور كافة الحيوان من مثل الإبل والأفيال والخنازير والبقر ويشاهد في صورة الصيد هذه بضعة قوارب تسبح فوق الماء وقد استوي علي أحدها كسري وقـــد انهمك في التصويب بسهامه وعلي قارب آخر أخذت جوارٍ في العـــزف علـــي آلات الطرب. وقد تخلف عن هذا العصر نقوش حجرية أخري نضرب صـــفحاً عن عرضها توخياً للإيجاز.

المذاهب الأجنبية في العهد الساساني:-

شرحنا المذاهب التي أتي بها الإيرانيون في موضعها ويحق أن نقدم هنـــا موجزاً للمذاهب الأجنبية التي اعتنقها أتباع في إيران الساسانية:-

١-البوذية:-

اعتنق البوذية في عهد الساسانيين أتباع في بعض أجزاء من شرق إيران. كان جوتاما بوذا ابن رئيس قبيلة (ساكيا). أتي بدين جديد مخالف للبرهمنية في القرن الخامس قبل الميلاد. ويقوم مذهبه علي حقيقة أن الحيـــاة رجـــس وهـــذا

الرجس مُتَأَتٍ من شهوات النفس. ولكي يطهر الإنسان من رجسه فلا فوت لـــه من التطهر من أرجاس نفسه وشهواتها. وآخر درجات الإنـــسانية هـــي الفنــاء المعروف بالنرفانا وبعث بوذا لأجل أن يرشد السالك للوصول إلي ذاك الفنـــاء. ولا ندري مبلغ تأثير هذه العقيدة بعد انتشارها في بعض أقسام شرق إيران علي أفكار الإيرانيين وأخلاقهم في العصر الساسانى. علي أية حال فقد كان في بلـــخ بعد الإسلام معبد مقام يسمي (نوبهار) ويظن أنه معبد بوذي كما يقال إن كلمـــة (برمك) أتت من (پرمك) وهو لقب رئيس المعبد البوذى.

٣- المسيحية:-

ولد المسيح في فلسطين في عهد فرهاد الخامس الأشـــكاني وأكتـــافيوس جوست إمبراطور الروم. مع أن ميلاد المسيح حدث عام ٨٤٩ بعد بناء مدينـــة الروم لكنه جعل عام ٧٥٤ نتيجة خطأ وقع فيه أحد علماء المسيحية وصار هذا الحساب الخاطئ أساس تاريخ المسيحيين. ويعتقد المسيحيون أن المسيح صـــلب في عام (٣٣م). وتقوم المسيحية علي مبدأ تساوي البشر والرهبانية ورد الإساءة بالإحسان ومع أن المسيحية تعدم الجانب العلمي الواضح مع هذا فإنها انتشرت بالتدريج بين الطبقات المظلومة خاصة العبيد والرقيق بـــسبب أن الحـــواريين والمبشرين المسيحيين كانوا يدعون إلي المساواة بين الناس. انتشرت المسيحية داخل إيران بعد انتشارها في بلاد بين النهرين.

ويبدو أن أتباع هذا الدين كانوا يؤدون شعائرهم الدينية في مناطق إيران المختلفة بكامل حريتهم في أواخر الحكم الأشكاني لأن الملوك الأشكانيين لم يكن من ديدنهم التدخل في عقائد غيرهم. ولما أسس أردشير بن بابك الحكم الساساني وقصد أن يحكم الوحدة الوطنية الإيرانية برسم مذهب ديني واحد فقد أمر بغلـــق كافة المعابد غير الزردشتية فأقفل المسيحيون كنائسهم عجزاً عن المعارضـــة.

ومع هذا فلا نظن أن هذا الوضع استمر بهذا النحو مـدة طويلـة لأن الملـوك الساسانيين لم يكونوا يعيرون في البداية المسيحية أهمية كبرى، وتوجد أدلة علي أن كنائس عديدة كانت قائمة في أرجاء إيران في عهد شابور الأول. لكن حينما اعتنق تيرداد والي أرمنية المسيحية وأراد تحويل أهلها إلي اعتناقها قهراً خاصة لما جعل قنسطنطين الإمبراطور البيزنطي علي عهد شابور الثـاني المـسيحية الدين الرسمي لبلاده أخذت القضية شكلاً آخر وصار مناطاً بالملوك الساسانيين واجب مراقبة تصرفات المسيحيين حتى لا يصيروا ألعوبة تحركها يد الـروم. وبما أننا نبهنا ضمن تاريخ آل ساسان مسلكهم إزاء المسيحيين بإجمـال فنـري تكرار القول فيه غير مناسب.

الولاء للشاه وحب الوطن عند الإيرانيين

الولاء للشاه وحب الوطن جِبِلّةُ جبل عليها الإيرانيون منذ القدم حتى الآن. وقد اتصف الإيرانيون في العصر الساساني بهاتين الصفتين بـدورهم فكـانوا يحتسبون أمر ملكهم أمراً إلهياً. كانوا يتكلفون أقصي درجات الفداء ويهـاجمون عدوهم بشجاعة خارقة أثناء القتال خاصة إذا كان ملكهم حاضراً في ذاك القتال. وفي طاعتهم أوامر الملك أو قوانين البلاد نكتفي بإيراد هذه القصة وهي أن قباذ حين كان يتجول في أطراف (السواد) رأي امرأة تضرب بـشدة طفـلاً قطـف عنقود عنب من شجره. فلما استجلي الأمر علم أن هذه المرأة هي أم هذا الطفل وأنها تضربه بسبب أنه مدّ يده إلي العنب خلاف قوانين البلاد وقبل وصول جباة الضرائب وتأدية ضريبته.

علي أي حال عدّ الإيرانيون سلطة ملوكهم مخولة من جانب الله وألزمـوا أنفسهم بالانقياد إليهم. نفر الخواص والعوام من بهرام جوبين لأنه تمـرد علـي هرمز وكسري وقتل شهربراز علي أيدي حراسه بسبب خيانته. وقـد ضـرب

الإيرانيون أمثلة مضيئة خلدها الزمان علي افتداء الوطن وسطروا صفحات غراء في الحفاظ علي استقلال إيران. وأولئك الذين ذهبوا إلي كمال الوطنية عند اليونانيين في واقعة (ترموبيل) إذا تذكروا جلادة الإيرانيين وأعمالهم الفدائية في كثير من المواقع فلسوف يقطعون بأن الإيرانيين قَلَّ نظيرهم في حب الوطن. فعلي سبيل التمثيل حاصر في عام (٥٥٠م) جيش كبير من الروم واللازيك قلعة (پترا) في لاذيكا لقي سبعمائة مقاتل إيراني من جملة ثلاثة آلاف كانوا بها حتفهم وهلك ألف وسبعون آخرون في هجوم العدو الأخير ووقع بالأسر سبعمائة وثلاثون كان من بينهم سبعمائة وعشرون مصاباً. أما بقية المدافعين وهم خمسمائة رجل شجاع فقد رموا أنفسهم داخل القلعة وظلوا يقاتلون حتى آخر لحظة في حياتهم وكانوا يزيدون تهوراً في دفاعهم كلما وصلهم نداء للتسليم ويبدون رفضهم الكامل للاستسلام حتى قتلوا عن بكرة أبيهم. وفي عام (٦٢٥م) لما انهزم شاهين القائد الشجاع الإيراني من الروم وصار موضع توبيخ برفيز مات حزناً.

وما أكثر المدن الإيرانية التي كان أهلها من الرجال والنساء يقاتلون أعداءهم من فوق أسطح المنازل وما أكثر الحرس الإيرانيين بداخل المدن الذين كانوا يوصدون أبواب المدينة أمام الجيش الإيراني العائد بسبب أنه انهزم من عدوه ولم يستمر في مقاومته. وكان الجيش المعادي إذا دخل في عقر بلاد إيران يرتهن في الأغلب بغضب السكان ويتكبد من جراء مقاومتهم له خسائر فادحة.

فهرس الكتاب